الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
أكاديمية التغيير
Academy of Change

سلسلة ثورة العقول

زلزال العقول

2

تأليف
م. وائل عادل

زلزال العقول (2)

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة ثورة العقول

زلزال العقول (2)

تأليف

م. وائل عادل

مراجعة

المستشار/ عادل عبد الحكيم

أكاديمية التغيير
Academy Of Change
AOC
MindQuake

الدار العربية للعلوم ـ ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

يمـــنع نـــسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وســـيلة نـــشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر

الطبعة الأولى

1429 هـــ - 2008 م

ردمك 978-9953-87-381-7-

All rights reserved. It may be reproduced
with permission of the Academy of Change

The authors have asserted their right under the
Copyright, Design and Patents Act 1988,
to be identified as the Authors of this work.

Library of Congress Cataloging-in-Publication Data

British Library Cataloguing in Publication Data.
A Catalogue record for this title is available from
the British Library.

جميع الحقوق محفوظة للناشرين

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961)
ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

للتواصل مع أكاديمية التغيير (AOC)
بريد إلكتروني: info@taghier.org
www.taghier.org

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم - ناشرون ش.م.ل

المحتويات

مقدمة 7

نــزيف العقول 11

فَسَّحُووه 17

حرف الباء... وفن المناورة 23

غداً تعلن النتيجة 29

انظر خلفك للأمام 35

ألبوم الصور واغتيال الزمن 41

جزارة التغيير 47

من الإبرة للصاروخ 53

تحدي الجاذبية 59

الكَرَكْ 65

مين إلليّ طفى النور؟؟!! 73

ابتعد كي تقترب 81

العيب في "الشوربة" 87

ماذا نفعل بالسيارة؟؟ 93

بُكره تفرج 99

ما البديل؟؟ 105
الوضع معقد جداً 111
المنشقون في الاستاد 119
ملك الفول 127
الصرصور البريء 133
ما بال قطتي تضاجعها الفئران؟؟!! 139
انبطحوا أرضاً 145
رصيدك انتهى 151
الخاتمة 157

مقدمـــة

يعد الاعتناء بتطوير منهجيات التفكير من صميم عمل أكاديمية التغـــيير، لأن أي تغيير يحدث على أرض الواقع يسبقه تحول في فكر القـــائم علـــى صناعة التغيير، فنحن عندما نعمل للتأسيس لمستقبل جديد، إنما نؤسس له وفق معطيات وتصورات في عقولنا، فإن كانت هـــذه التصورات إيجابية وناضجة وفعالة، انعكست على الواقع بعمل حـــي يرتقي بالمجتمعات وينميها، وإن كانت هذه التصورات مشوهة أو مضطربة، انعكست في ممارسات مذبذبة ومضطربة.

لـــذلك فإن ثورة العقول هي بداية التغيير، وتأتي سلسلة ثورة العقـــول لتـــسهم في إحداث هذا التغيير، وهذه الثورة داخل العقل، لـــتطلق أقـــصى طاقاتـــه لينتزع المستقبل من فم المستحيل. إن ثورة العقول هي التي تمنح الإنسان بريق الفكرة، وبها تتقدم الأمم وتنهض المجتمعات.

كتاب زلزال العقول (2)

ويأتي كتاب "زلزال العقول (2)" ليتصدى لبعض أنماط التفكير، ويـــسلط الـــضوء على زوايا دقيقة من نمط التفكير الحي الذي ينقل المجـــتمعات نقـــلات كبرى، كما يعتبر هذا الكتاب زلزالاً لأنه يرج العقل رجاً، ويعيد ترتيب الأفكار فيه بشكل جديد، فيهذب أفكاراً، ويـــضيف أفكاراً، ويجتث أحياناً بعض الأفكار التي لا يصلح بها عقل تغييري.

ويحتوي الكتاب على مجموعة من الأفكار التي صيغت بأسلوب سهل وشيق، وبلغة خفيفة عميقة، وتمت معالجة الأفكار عبر مواقف حياتية متنوعة، حتى لا تنتهي علاقة القاريء بالأفكار بانتهاء القراءة، لأنه سيتذكر هذه المواقف كلما تعرض لموقف مشابه، ومن ثم سيستدعي الفكرة المرتبطة بالموقف بسهولة.

فأنت في هذا الكتاب ستدخل الإستاد لتعيش مع "المنشقين في الإستاد"، متأملاً دور الانشقاقات في إحداث الثورات العلمية والتكنولوجية والحضارية، منتقلاً إلى محل "ملك الفول"، الذي يلهمك صناعة التحديات الخارجية لاستجلاب التغيير، ولا بأس بعد ذلك أن تشرب "الكَرَك"، حيث تتعرف على أيديولوجيا المستقبل، وبعد انتهائك من هذه الجرعة الفكرية يمكنك أن تستقل سيارتك، ولا تتعجب إن قرأت "ماذا نفعل بالسيارة؟!"، فبنظرة واحدة إلى المرآه الأمامية ستتعرف على قاعدة ذهبية "انظر خلفك للأمام"، ولتنتبه بين الحين والآخر، فسيخرج لك "الصرصور البريء" محركاً شاربيه، ليعلمك ألا تقترب من بوابة الفناء، أما "القطة التي تضاجعها الفئران" في مطبخك فستخبرك عن فن تركيب المخالب والأنياب للمجتمعات، وإن احتجت الاتصال بنا لمعرفة المزيد من أفكار الكتاب فلن تتمكن، لأن "رصيدك انتهى"، لذلك عليك أن تتعرف بنفسك على المزيد من الأفكار التي حوتها صفحات الكتاب.

والأفكار المطروحة هنا تشكل أدوات يسهل استخدامها وتذكرها، لكسر وهم "استحالة الفعل"، إذ تدمج بين المنطق والفلسفة في مقارباتها. وهي لا تجيب على تساؤلات إجابات حتمية

نهائية بقدر ما تطرح أسئلة على العقل تهدف إلى كسر أغلاله. فليس كل ما هو مطروح حقائق يجب تبنيها، فهدفنا هو أن تكون مثل هذه الأفكار موضع نقاش وأخذ ورد. فهي لا تشكل نهايات للتفكير، بل بدايات.

إننا ندعوك أن تقرأ... ثم تفكر... ثم تنقد... ولتتفق أو تختلف... إننا ندعوك أن تحرر عقلك.

قسم الدراسات والأبحاث
أكاديمية التغيير

نـزيف العقول

انتبه... عقلك ينــزف

نزيف العقول

انتبه... عقلك ينزف

كان مشهداً مروعاً... هرول الناس وتجمعوا... لم تأت سيارة الإسعاف بعد... أخرج صديقي أدوات الإسعافات الأولية من سيارته... راقبته وهو يتفحص المصاب... لم تكن هناك آثار لإصابات اللهم إلا بعض الكدمات... حمدت الله بصوت مسموع... قال: "ربنا يستر"... سألته "هل توجد مشكلة؟"... أجابني: "أخشى أن يكون أصيب بنزيف داخلي".

من أخطر ما ينتج عن إصابات الرأس حدوث نزيف في المخ، فتنفجر الشرايين التي تغذيه بالأكسجين، لكن الأخطر من ذلك أن يصيب العقل هذا النزيف، فتحدث السكتة الدماغية، ويتوقف إمداد العقل بدماء الأفكار الجديدة، فلا يصل أكسجين الإبداع إلى أنسجة الحياة. وربما تموت خلايا المخ في دقائق بسيطة، ويموت الإنسان، وإن ظن أنه حي.

ومن أسباب خطورة النزيف الداخلي أن صاحبه قد لا يشعر أنه مصاب، فتتوهم المؤسسات أنها مستقرة، وفي قمة عافيتها، ولكنها تنزف من الداخل، وتعاني خللاً في وصول الأفكار إلى عقلها، إنها قائمة بهياكلها وأشخاصها، لكن عقلها يحتضر.

ترى أي جريمة ترتكب في حق مشروع ما عندما يُتلف أحدهم الشرايين، فيختل نظام توصيل الأفكار، ويحتار العاملون!! أين تذهب

الأفكار؟؟!! وكيف تتسرب تدريجياً وتتلاشى قبل أن تصل إلى عقل المؤسسة؟! وما سبب حالة الدوار التي تُلاحَظ في أعين القيادة عند سماع الأفكار في حالة وصولها؟!

إن القلب لا يموت إلا إذا مات المخ، ولا تتطور المجتمعات إن فقدت القدرة على التفكير... **يستطيع القلب أن يضخ دماء الحياة في الجسد، لكنه يعجز عن إدارتها، فالعقل هو الذي يدير الحياة.** وأي مشروع مثل الكائن الحي، يموت إن مات عقله. فالأعداد الضخمة من العاملين، والإجراءات المعقدة التي تمثل شرايين المشروع، لا تجدي نفعاً إن مات عقله، حينها تموت العين فتغيب الرؤية، وتتيبس العضلات فيصمت الفعل، وتُضرِب الشرايين فتذبل الحيوية. وهل تغني العضلات الفتية، والعين الحادة، والشرايين النشطة، عن الجسم شيئاً إن مات المخ؟!!

ولنزيف العقول أعراض كثيرة، قد تتلمسها في أقوال المصاب أو أفعاله، فعندما ينظر إليك شخص ما، ويسألك "**ما البديل؟**" دون أن يتكبد عناء التفكير في بديل فإن عقله ينزف، وعندما يجزم آخر "**لا يوجد حل للأزمة**"، بدلاً من أن يقول "**لا أعرف حلاً للأزمة**"، فهو على خطر كبير... وهناك حالات مستعصية تسأل مثل هذه الأسئلة بهدف تأكيد غياب الإجابة، وليس بحثاً عن إجابة، لسان حال السائل: "**لا يوجد بديل، ولا يوجد حل للأزمة، ولا تحاول التفكير في حل**"... إذا وَجَدَّت مثل هذه الحالات، فلا تتردد في إبلاغ الإسعاف... **أنت أمام عقل ينزف...**

ويجب أن تتأكد أنك أيضاً معافى من النزيف، فإذا وجدت نفسك تردد مثل هذه المقولات مفوضاً غيرك في التفكير نيابة عنك،

أو متحدياً الآخرين بعبقرية أسئلتك أن يأتوا بحل.. فانتبه... عقلك تسحقه اضطرابات... أنت تعاني من نزيف العقول... وتفكر داخل بحيرة من الدماء. فإن نطقت سال الدم على شفتيك في ثوب فكرة معيقة أو نبرة يائسة، وإن نظرت بعينك الملتهبة رأيت المستحيل في الأفق يحتويك، وإن سمعت رأيت الناس تعاديك ولا تنصح لك، ولربما لم تسمع إلا ما تريد أو ما يريد خصومك أن تسمعه.

إن المجتمعات الحية تهتم بإسعاف العقول، وتزويدها بأنماط التفكير السليمة، وتحرص على ارتفاع منسوب التفكير لدى الأفراد، وسنجد في المستقبل وحدات لإسعاف العقول مجهزة بأحدث ما توصل إليه العلم من معارف ومهارات تقوي العقول، فكما نرى سيارات الإسعاف تُفتح لها الطرقات للحفاظ على الأجساد، فأولى أن تُفتح الطرقات لمهندسي العقول، ولا بأس إن اتخذت سيارات إسعاف العقول لها لوناً وصوتاً مميزاً، كي تُذَلَّل لها الطرقات، فثمة جريمة ستُرتكب بحق العقول في إحدى المؤسسات، والفاعل مدير يمزق الشرايين ليلاً، وهناك قرارات مصيرية تتخذها عقول بسيطة لا تدري كثيراً عن العالم، وهناك سلوك يطعن وحدة المجتمع، يدبر له عقل مشوه تضخم شعوره

بالذات في أحد المخابيء، إنها سيارات لا تسعف الإنسان وحده؛ بل تسعف المجتمع كله، وهي ليست معنية بصيانة الأجساد؛ بل انصبت جهودها على صيانة العقول... **وهل يحيا الجسد بدون عقل؟!!**

فَسّهوووه

الاستعصاء على الذوبان

فَسَّحووووه

الاستعصاء على الذوبان

بـــدأتُ إعـــداد كـــوب من الشاي... أحضرتُ السكر والماء والـــشاي... وأثناء التقليب استثارتني الجريمة التي أرتكبها يومياً... حـــين أعـــتقل الـــسكر، وأصب عليه الماء الساخن، وأطمس معالمه البيـــضاء النقـــية بلـــون الشاي الداكن.. فرغتُ من تناول الشاي وانطلقت للعمل.

بدأ الاجتماع... تحدث المدير طويلاً... جـــذب انتباهي وجود كوب الشاي أمامه... قاطعـــه أحـــد الحضور مـــــشيراً إلى بعـــــض الـــسلبيات... تحدث بجرأة، فتجرأ معه البعض معترضين على سياسة المؤسسة... حينها أمسك المدير الملعقة... بدأ بتذويب السكر... ثم همس في أذن نائبه... "**فسَّحووه**"..

بدأت عملية الاجتياح، فهؤلاء الذين يكثرون من التفكير يجب أن تُتبع معهم استراتيجية "**فسَّحووه**"، انطلاقاً من المسلمة التي قامت علـــيها المؤســـسة، والتي تؤكد أن "**الذي لا يعمل سيفكر كثيراً في السلبيات**"، والمسلمة الأخرى التي تنادي بأن "**من يفكر كثيراً يعمل**

قليلاً – على اعتبار أن التفكير ليس عملاً"، فلا بأس إذن من إعارة هـــذا الـــشخص هنا، وانتداب ذاك هناك، حتى لا يلوث جو العمل بأفكـــاره، ويصيب من حوله بحمى التفكير، وإن لم تكن هناك فرص لفـــسحة أو إبعاد، فتبدأ الخطة الثانية، وتنفذ استراتيجية "**دَوَّخُووه**"، حـــيث يـــبدأ الرج المستمر مع التقليب السريع حتى يذوب السكر، فتتلاشـــى الحـــدود الفاصلة بين الصلب والسائل، والغث والسمين، والقـــوي والهش. إنه لون خفي من ألوان التعذيب... أن تنهك من يفكر وتشغله في القيام بأعمال كثيرة، لتغتال عقله مع سبق الإصرار، وتـــشوش على إشارت التفكير مترصداً، لينقطع إرساله وهو طريح الفراش منهك من جهد العمل.

أمـــا الكـــسالى، أو النمطـــيين الذين لا يثيرون شغباً؛ فهؤلاء يـــشكلون الأساســـات التي تضمن استقرار المؤسسة وسط أعاصير الأفكار، وزلازل الطموح والأحلام.

خـــرجت من الاجتماع، وتركتهم في "برطمان" الاجتماعات الـــذي تُبتلع فيه الأفكار... أغلقت الباب خلفي، أحكمت الإغلاق جيداً.. كتبت عليه بخط عربي أصيل.. "**خَلِّلووه**".

إن كـــل طَمـــوح علـــيه أن يحـــسن إدارة الأحلام وصناعة المـــستقبل، ويهتم في مشاريعه بتفريغ أفراد أو أجهزة معنية بالتفكير والنقد وعرض السلبيات، ولا يُكلَّفون إلا بمثل هذا النوع من العمل، فيمنحون المؤسسة مذاقاً خاصاً، ولا يُنظر إليهم باعتبارهم مادة يجب أن تذوب وتُفتت صلابتها؛ بل يُنظر إليهم على اعتبارهم سر النكهة الجمـــيلة للعمل، وشتان بين أن تُذيب السكر لتتخلص من صلابته، وبين أن تذيبه لتنداح وجاهته على كل الشراب. شتان بين استدعاء

الـــسكر لتحلـــية الـــشراب، وبين اتخاذ صناعة الشاي ذريعة لطحن السكر، ثم يُترك الكوب حتى يبرد دون أن يشرب منه أحد.

وإن كـــان كوب الشاي يؤدي إلى اعتدال المـــزاج؛ **فإن الذوبان بهـــدف التهمـــيش واغتـــيال الشخـــصية لايـــضمن اســـتقرار المؤســـسات واعتدال مزاجها– وإن بدا ذلك لفترة، فسرعان ما يـــتفلت المفكـــرون ويشح السكر، فلا تتبقى في كوب الشاي إلا قتامة اللون ومرارة الطعم.**

حرف الباء وفن المناورة

إلى أي الحروف تنتمي؟؟!!

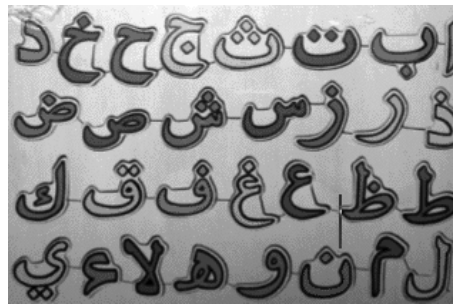

حرف الباء... وفن المناورة

إلى أي الحروف تنتمي؟؟

بينما أنا أقرأ في أحد الكتب، إذا بي أجدني أغيب عن عالم الكتاب، لأدخل عالم الأحرف التي صاغت كلماته، وجدتني أغوص في أعماقه، بدت الأحرف كمجموعة من الرسومات، نسيت الكتاب وموضوعه، لأجدني حائراً منبهراً بهذا العالم.. عالم الأحرف.

ففي عالم الأحرف تدور حوارات، وتحاك مؤامرات ومعارك وسجالات، وجدت الأحرف تتسابق فيما بينها، لتشكل الكلمات، فحروف "الفاء" و"القاف" و"الراء" قد تصنع "فقر"، لكنها إذا أحسنت تشكيل نفسها تكون "رفق"، وجدت الفاعل والمفعول به، ورأيت حزناً مرسوماً على نقاط الكلمات التي قَدَّر لها الكاتب أن يجعلها مفعولاً به.

وهناك الأحرف الصغيرة الرشيقة القادرة على المناورة، ورغم أنها قررت أن تعمل صغيرة منفردة دون الاندماج مع أحرف أخرى لتكون كلمة كبيرة؛ إلا أن لديها من القوة ما يجعلها قادرة على أن تَجُر ما بعدها، كما يفعل حرف "الباء" منفرداً، ليكسر أعتى

الكلمات، أو كما يتحالف حرفا "الفاء" و"الياء" ليشكلا قوة "في"، التي تناور وتخترق سدود الكلمات برشاقة، باحثة عن هدفها في كلمة كبيرة، فتختار موقعها قبلها مباشرة، لتكسرها بدورها، فلا تبقي ولا تذر، ثم تجرها عائدة بها إلى الأحرف الخائفة.

رأيت كذلك حرف "اللام" يتألق ذكاءً، حين قرر الانضمام إلى مجموعة حروف العلة، ليفسر الأحداث، ويكشف علتها، فيوضح المبهم، ويجلي الحقائق.

كذلك هالتني هذه الكلمات المستكينة، التي فضلت أن تكون تابعة، فيربطها ويعطفها على ما قبلها حرف "الواو"، ليجعلها تابعة لما سبقها، إن كان مجروراً جُرَّت، وإن كان مرفوعاً رُفعت، إن حرف"الواو" يمسخ ما يليه، وليس هذا جُرمه، بل العتاب كل العتاب على من ارتضى أن يكون مكانه بعد "الواو".

ازددت إعجاباً بـ "أو" التي تتيح الخيارات، **وتعلمنا أنه لا يوجد خيار واحد، أو استراتيجية واحدة**، فاستيعاب العقل لـ "أو" يعني تحرره من أسر الحل الأوحد.

إن عالم الحروف يستحق النظر، فمن الأحرف تُنسج الكلمات، وتصاغ الخطابات، ومن خلالها يعلن القادة قراراتهم المنطوقة أو المكتوبة، فبالحروف تشن الحروب، وبها توقف، فلا عجب أن تبدو في عالم علاقاتها مفردات الصراع.

وإن كان مقبولاً في دنيا الحروف أن يتواجد الفاعل والمفعول به، والجار والمجرور، وحرف العطف والمعطوف، ليتعايش كل هؤلاء كلوحة تشكيلية تنبض ببلاغة الكلمات وبيانها؛ فإن الحديث يختلف في دنيا الإنسان.

إن الحـــروف تعلمنا أن نكون في عالم الإنسان بين فاعلين أو مفعـــول بنا، أن نَجُر أو نُجَر، أن نحسن تشكيل أنفسنا، واستثمار مـــواردنا، أو أن نهـــدرها، أن نكتشف دور المجموعات والمشاريع الصغيرة في القيام بأعمال نوعية – مثلما تفعل الحروف النوعية كالجر والعلـــة، بـــدلاً مـــن إعادة إنتاج أشكال القرن الماضي في مشاريع متـــضخمة، قد لا يسعفها حجمها على السرعة والمرونة في المبادرة واتخاذ القرار.

وليست كل الحروف قابلة للعيش منفردة، لتمارس دورها دون أن تلتحم مع غيرها من الأحرف مكونة كلمة، فحرف الـــ "ثاء" لا يعمـــل منفـــرداً، والأبطال في الغالب قلة، والقادرون على التصدي منفـــردين صفوة، وتجسدهم تلك المجموعة من الحروف المتميزة التي تمتلك مهارت العمل النوعي.

أعجبـــتني حقاً تلك الحروف الصغيرة، وأسرتني دقتها ومهارتها، الـــتي لولاها لاصطدمت الكلمات الكبيرة، ولتراشقت، إنها هي التي تـــنظم، وتفـــسر، وتُفـــصِّل، وتفصل بين الكلمات، وتُعاقِب بالجر والكـــسر أحياناً، وهي صغيرة ليسهل على الكاتب تذكرها، ويسرع في كتابـــتها قبل ارتطام الكلمات، ويتمكن من حشرها بين أضخم المفردات.

إن الحروف الصغيرة هي صمام الأمان الذي يحول دون اختلال الجمل ومعانيها، وأعتقد أن **المشاريع الصغيرة بدورها صارت اليوم صمام أمان يثبت حيوية المجتمعات، وإمكانيتها وقدرتها على الفعل.** يقولـــون أن السمك الكبير يأكل الصغير، وأقول بل الأسماك الصغيرة قادرة على اعتلاء ظهر الحوت.

غداً تُعلن النتيجة

المستقبل هو حصاد فعل اليوم

غداً تُعلن النتيجة

المستقبل هو حصاد فعل اليوم

كانـــوا يتحلقون حول لوحة الأسماء، تتسابق عيونهم في رصد النـــتائج، كـــنت هادئاً... مبتسماً... أمازح الزملاء، سألني أحد الـــواقفين متعجباً!! ألست قلقاً على النتيجة؟؟!! أجبته بالنفي... إنها نتيجة صديقي.. أتمنى له التوفيق، لكنني لن أستطيع مساعدته في هذه اللحظـــة كـــي ينجح. أرجو له أعلى الدرجات، لكنه رهين دراسته وجهده الذي بذل.

إن نتـــيجة اليوم ليست إلا حصاد نمط تفكير وجهد الأمس، والواقـــع الـــذي تحياه المجتمعات هو حصاد عمل السابقين في العقود الماضـــية، ونتـــيجة امـــتحان مذاكـــرتهم، **إنه حصاد أطروحاتهم ومـــشاريعهم ومعاركهم وانتصاراتهم وإخفاقاتهم،** ما نراه اليوم هو محصلة ما قام به جيل سابق من ثلاثين عاماً أو يزيد، ونمط تفكيره هو الذي خلق واقع اليوم بحلوه ومره.

وقوانين الفعل الاجتماعي لا تحابي أحداً، فأحداث اليوم هي حـــصاد تفاعل الأجداد مع احتياجات مرحلتهم، وهي أجوبتهم علـــى أســـئلة الامتحانات التي خاضوها، وهي مستقبلهم الذي شـــكلوه طوعاً أو كرهاً ليصبح واقعنا، ومحاولة الشباب للتدخل بـــشكل سطحي في أحداث هذا الواقع -طمعاً في الحصول على نـــتائج ســـريعة- تـــبدو فكرة عبثية، فالشباب لم يزرع بعد كي

يحصد، واليوم هو يوم حصاد الأجداد.

لا أرى أية فائدة من أن يبكي الجيل الحالي وضعاً لم يصنعه هو، متخيلاً أنه رسب في الامتحان، إنها نتيجة امتحان آبائه، وليست نتيجته هو، فمدى صمود البناء أمام زلازل الواقع معتمد على طبيعة الأساسات التي أنشأها الأجداد، أما الأبناء فقد يعيدون النظر في مدى فاعلية الأساسات، مدركين أن هذا البناء ليس بناءهم، فهم بالكاد يُسَطِّرون أول فصول ملحمتهم الحضارية، وعليهم أن ينظروا للأمام، وألا ينشغلوا بالدخول في بقايا معارك الماضي التي تشكل نهاية حقبة من تاريخ المجتمعات، خاضها أطراف مختلفون، ولم يكن الجيل الحالي يوماً ما واحداً من هذه الأطراف، ولا أراهم مضطرين أبداً لتضييع جهدهم وعمرهم في خوض معركة خاسرة.

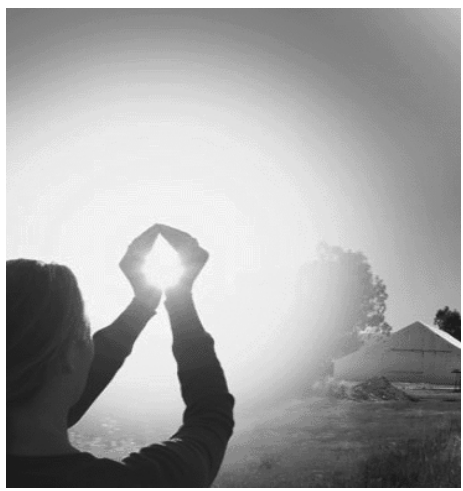

وإذا أراد الشباب صناعة مستقبل مشرق فليعلم أن هذا **المستقبل مرهون بفعل اليوم والأفكار التي ستُطرح فيه**، ومرتبط بإبداع الأدوات التي ستجعل من هذه الأفكار واقعاً في المستقبل، ومعتمد على المشاريع النوعية والبنى التحتية القوية التي ستخلق الغد المرتقب، والشباب الفطن يوقن أن مستقبله رهين فعله هو وليس الآباء. وأن

الإجابة على الإمتحان بنفس طريقة الآباء ستكرس النتيجة ذاتها، لذلك عليه أن يُعد أجوبة جديدة، وينتج عالمه الجديد، ببذل الجهد في طرح الرؤى والأفكار وإطلاق المشاريع المستقبلية. إن احتضان المستقبل أولى من التشبث بالماضي، وصناعة النجاح أولى من محاولة ترميم حالة من الماضي عجز صانعوها عن تغييرها بعد أن أُعلنت نتيجة امتحانهم..!!

وبعد أن يستوفي الجيل الحالي جهده، ويعمل عقله، ويخرج بأشكال الفعل التي أَمِل أن تصل به إلى المستقبل، ويلمح ولادة جيل جديد؛ سيأتي حتماً يوم إعلان النتيجة، فإما أن يكون حقق مستقبله الذي تمنى، أو يكتب وصيته للجيل الذي يليه: "**أبدعوا أشكالاً جديدة، وغيروا نمط تفكيركم حتى تصلوا إلى معادلة الفعل الصحيحة في ساحة التحول الحضاري، ولا تشتركوا في بقايا معاركنا، فإننا في الرمق الأخير**".

انظر خلفك للأمام

انظر إلى الخلف بالقدر الذي يدفعك للأمام

انظر خلفك للأمام

انظر إلى الخلف بالقدر الذي يدفعك للأمام

جلست في المقعد الخلفي.. انطلق السائق بعد أن ضبط مرآة السيارة الأمامية، رأيته يمنح المرآة نظراته بين الحين والآخر، تابعت معه السيارات القادمة من الخلف عبر المرآة..

تأملت ما يجري في مرآة العجائب، التي لخصت الماضي الذي عبرناه، فهي لا تعكس كل الماضي، ولا تعير اهتماماً لكل ما مررنا به؛ بل **تعكس من معالم الماضي ما هو ضروري للتقدم إلى المستقبل**... رغم وجود الجبل..

كانت المرآة تعكس صورة جبل رابض في الخلف، ومهما ابتعدنا ظل الجبل في المرآة، لكنه بعد فترة يتقازم ويصغر، وإذا انحرفنا متجهين في طريق آخر يميناً أو يساراً إذا بالجبل يختفي، إنه أشبه بما نعتقده مسلمات نستصحبها معنا في طريقنا، ثم نكتشف بعد فترة أنها ليست من الأفكار الراوسي الشامخات، فمع أول تغيير للطريق يتلاشى الجبل وتبقى صورة السماء..

فصورة السماء لم تكن تفارقنا، إنها تصاحبنا أينما ذهبنا، لتشكل الأفكار والمبادىء الأساسية، التي تظل المسافر أينما حل، والتي

يستلهم منها الكليات التي تضبط مسيرته. ورغم بطء حركة السحاب، إلا أنها لم تزعجنا كما أزعجتنا المتهالكات المتباطئات..

فقد رأيت سيارات متهالكة تسير ببطء شديد، وأخرى جديدة تتكاسل في السير، وكأن أصحابها لا يرون لعامل الزمن أهمية، كانت تشبه الأفكار والمشاريع البطيئة، التي لا تلبث أن تلفظها المرآة، وتحرمها نعمة الوجود في عين السائق. بدأ السائق يبطيء، سألته أن يسرع.. فالطريق مفتوح، قال: "ألا ترى أننا متقدمون على من حولنا؟!"، أخبرته أنه يجب ألا يقارننا بالمتهالكات المتباطئات، فرؤيتها دائماً خلفنا لا تعني الانطلاق للإمام... سألته أن ينظر أمامه إلى من سبقه لا إلى من خلفه، فإذا بالمرآة تعكس صورة القادمين من بعيد..

فها هي سيارات تأتي مسرعة تكاد تطير من الخلف، ربما ارتدت ثوب الإسعاف، أو الانطلاق نحو عمل عاجل، تحمل أفكاراً ومشاريع قد لا نملك حيالها إلا أن نفسح لها الطريق. علمتني المرآة **عبثية أن أفكر في فرض إيقاع خطوتي على الآخرين**، فأحول دون مرور الأفكار التي تتقدم عليّ، والأكثر قوة وفاعلية مني. تعلمت ألا أفعل مثل الحافلة المترهلة التي أمامنا..

كانت تسير ببطء، وتريد أن تتمسك بالصدارة، وكلما حاولنا تجاوزها أغلقت أمامنا الطريق. نذهب يميناً فنجدها يميناً، نناور شمالاً فنجدها شمالاً، لا تريد لأحد أن يتقدمها رغم بطئها، بدأ السائقون يستخدمون الأبواق لعل سائق الحافلة يبالي ويفسح لهم الطريق، لكنها نوعية تأبى أن يتقدمها الآخرون، حتى لو كانت النتيجة عرقلة حركة السير. حينها وددت لو كنا مثل أولئك المتألقين الحالمين من خلفنا ينفثون البخار..

شـــباب في المـــرآة يقـــتحم، يعتلي دراجاته البخارية، له منطق مختلف، وحسابات أقل تعقيداً من حسابات راكبي الحافلات والـــسيارات، فكـــل منهم يحتاج حيزاً صغيراً ليتحرك، شق الشباب الطـــريق من الخلف شقاً، وتجاوزونا بدراجاتهم البخارية، التي علا صـــوتها صوت محركاتنا، وتجاوزت باقتدار تلك الحافلة المترهلة، لـــتقف الدراجات مجتمعة في رشاقة على عجلة واحدة، تزأر طرباً بنشوة العبور. إنها الأفكار الجديدة المرنة الوثابة، الجريئة والقادرة علـــى قفز الحواجز، واكتساح الأفكار الهشة المعيقة التي تبدو في ظاهـــرها عملاقـــة، أو الـــتي أصـــابها تعـــصب راكبي الفاتنات المكشوفات..

كانـــت تجاورنـــا سيارة تعرت من سقفها، يركبها متهورون، اشـــتد غـــيظهم لأنـــنا تجاوزنـــاهم، وصرخوا وتوعدونا ولاحقونا كالمجانين... فكم طارد الماضي المستقبل!! أخبرت السائق حينها أن ينظر للأمام ولا يلتفت..

إنـــه سائق محترف... يديم النظر إلى الأمام، ويختلس نظرة إلى الخلـــف في المـــرآة مـــع كل تغيير في المسار إن أراد الذهاب يميناً أو يساراً، **إنها نظرة لا تعني مغازلة الماضي، أو افتقاد المشاهد التي مر علـــيها وتَمَنِّـــي البقاء فيها، بل نظرة الخبير الحذر الذي ينظر إلى الخلف بالقدر الذي يضمن الانطلاق للأمام**، يراجع جبل المسلمات ويتثـــبت مـــن حقيقتها، ويستظل بسماء المبادىء الكبرى، ويفسح

الطـــريق لمن هو أكثر منه قوة وسرعة ونضجاً في الأفكار، ويعلم أن تـــرهل الأفكـــار المعـــيقة لا يفله إلا الأفكار المرنة والأدوات الشابة الرشـــيقة القـــادرة على المناورة وقفز الأسوار، ويحذر من المتعصبين المكـــشوفين الـــذين لا يقبلون المنافسة، علمني السائق أن **ثمة حاجة للنظـــر إلى الخلـــف أحـــياناً لفرز الأفكار**، علمني إدارة الحوار بين الماضي والمستقبل.

ألبوم الصور... واغتيال الزمن

تطور الوظائف يتطلب تطور الأشكال

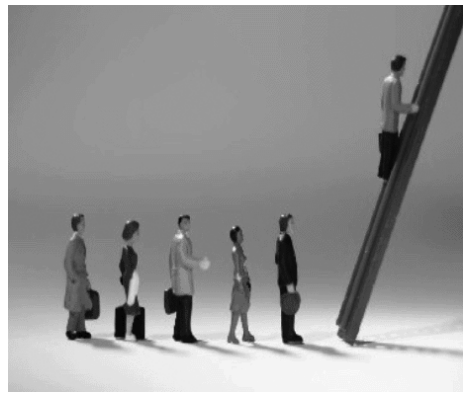

ألبوم الصور... واغتيال الزمن

تطور الوظائف يتطلب تطور الأشكال

كـــثيراً ما أحن إليه... أستعيد معه الذكريات... ففيه تُختصر ســـنوات العمر، وتُستجمع أحداث مضت، ألقيت نظرة على ألبوم صوري، رأيت صور الأهل والأحبة، غير أن شيئاً ما جذب انتباهي، إنها صوري في مراحل عمري المختلفة.

عجـــبت مـــن الـــتغيرات الكبيرة التي طـــرأت على شكلي، فـــصورتي وأنـــا طفل رضـــيع لا أكاد أتبين ملامحها، أو أميزها عن باقي الأطفال، أو أجزم أنها تعبر عني، ومع كل مرحلة جديدة من العمر كـــان الشكل يتغير بشكل كبير. ترى.. لماذا تتغير أشكالنا؟؟ ولم لا يثـــبت الإنسان بعد أن يولد – أو بعد مولده بخمس سنوات مثلاً– على شكل واحد؟!

لقـــد جُبل الإنسان على التغير، وهو يتغير بالفعل كل فترة تغـــيراً جوهرياً لا إرادياً، والتطور سمة ملازمة له، تشمل المفاصل

والـــشعر وملامح الوجه وحجم الجسم، ونبرة الصوت، وطريقة الـــتفكير، والـــرغبات. إنه تغير في كل شيء يلازم الإنسان طيلة حـــياته. ولو رأيت صورة شخص ما وهو صغير لوجدت أنه من المـــستحيل أن تتعرف على صورته عندما كبر إن وُضعت وسط عشرات الصور.

إن فلـــسفة التغيير ملازمة لحياة الإنسان، ولو تأمل أي فرد في حجـــم التغييرات التي تطرأ في بنيته وشكله وعقله لدُهش من حجم التحولات الضخمة، وكثير من هذه التغييرات مرتبط بتطور الوظائف البيولوجـــية للجسم، فتطور الوظائف يلازمه تطور في الشكل، فهل هـــذه الفلسفة التغييرية تنعكس على ممارسة الإنسان العملية أو نمط تفكيره وسيره في الحياة؟؟

إن الإنسان السوي لا يؤسس مشاريع أو مؤسسات تجمد لمدة عقود، أو يقبل بأطروحات فكرية متكلسة تعيش طور الطفولة وتأبى الفطام رغم مرور عقود عليها، فهو يؤمن أن التغيير الصارخ في شكل الإنسان لابد أن يواكبه تغيير عملاق في ما ينتجه!!

إن التغيير فلسفة حياة، واستيعاب هذه الفلسفة كفيل بإحداث تحـــولات كبرى في حياة البشرية، والإيمان بأن **لكل مرحلة أشكالها المناســـبة للفعل وأدواتها الفعالة** كفيل باستنفار العقول لإبداع هذه الأدوات، ألـــسنا نجد الرجل يعيش طفولته بصوت ناعم يستجلب به محـــبة ورفق الكبار، ثم تتحول هذه النعومة إلى نبرة خشنة تجسد أحد أدوات الفعل المناسبة لمرحلة الرجولة؟؟!! فعندما نرى طفلاً يستخدم أداة البكاء ويصيح ويضرب برجليه الأرض للحصول على مطالبه ربما نستجيب لطلبه، ونعطف عليه ونعطيه ما يريد، لكننا إذا وجدنا شاباً

جاوز الثلاثين يستخدم نفس الأداة للحصول على مطالبه فأعتقد أنه لن ينال إلا السخط والازدراء.

إن المجـــتمعات التي تعيش المستقبل هي التي تصل إلى مرحلة النـــضج الإنساني، فتتطور أفكارها ومشاريعها بشكل مذهل يتلاءم مع التطورات الكبيرة التي تطرأ على الإنسان. وأقترح على أصحاب الأفكـــار والمشاريع أن يخصصوا ألبوماً لصور مشاريعهم وأفكارهم، ويوثقوا أعمالهم ويسجلوا الحوارات التي تدور بينهم، ثم يقارنوا بين تطـــور أشكالهم في ألبوم صورهم الشخصية، وبين تطور مشاريعهم مـــن خـــلال صـــور ألبوم المشاريع وما دُوِّن عنها ومستوى تطور الحـــوارات ومـــا يُطـــرح فيها. **فإن كانت الصور تتطور في ألبوم المـــشاريع ويتجدد مستوى التفكير ويرقى جدول الأعمال الذي يُـــناقَش؛ فهـــذا دليل صحة ووعي، أما إذا ظلت الصورة ثابتة في ألـــبوم المـــشاريع، وشـــاب الشعر وتقوس الظهر في ألبوم الصور الشخصية؛ فهذا يعني اغتيال الزمن.**

جزارة التغيير

صناعة التغيير على أسس علمية

جزارة التغيير

صناعة التغيير على أسس علمية

كـــان يوماً مرهقاً ذهبت فيه إلى طبيب الأسنان... أجلسني على كرســيه المخيف، وأعمل أدواته في فكي... وفي طريق عودتي ذهبت إلى الجزار... وبينما هو يجهز اللحم لفت انتباهي معطفه الأبيض... إنه نفـــس معطف طبيب الأسنان... شوهته بعشوائية بعض الدماء كتلك التي خرجت من فمي... تدحرجت نظراتي لتصل إلى يديه، فهو يمسك أدوات لا تخـــتلف كثيراً عـــن تلـــك التي كانت تعمـــل في فكي وتطحن أســـناني... أما الضحية فـــواحدة... قطعـــة لحم... وجسد مستسلم للمشارط والسكاكين.

لم يكـــن الشبه في ذلـــك فحسب، هناك ما هو أهم... السؤال... الذي انطلق بعفوية قـــبل أن أذهـــب إلى كليهما... من هو؟؟ هل هو طبيب ماهر؟ ما خبرته؟ ما شهاداته؟

هل هو جزار متميز؟ هل سيعطيني لحماً جيداً خالياً من الدهون؟

إنـــنا نأبى أن يجري طبيب عملية جراحية في أجسادنا دون أن

يكون متخصصاً، بل ونسأل أولاً عن شهاداته ومدى خبراته قبل أن يتجـــرأ أحدنا ليضع نفسه تحت رحمة مشرطه وحقنته، فهل يُعقل في علاج المجتمعات وإعادة الحيوية فيها أن يمسك كل هاو سكينه ليقطع في جـــسد المجـــتمع ويشوهه كيف شاء؟! فلعله يقتل المجتمع بجهله، ويخنق أنفاسه، ثم يشكو مرارة لحمه، وأنه يستعصي على الطهي. وقد يـــشكو عـــدم استجابة المجتمع حين يستحثه للنهوض بعد أن كسر أرجلـــه بيديه، ويتأسف على صفرة وجه المجتمع بعد أن أراق معظم دمـــه بمحاولات عابثة غير مدروسة أصابته باليأس. إنها نتيجة طبيعية حـــين يشتغل الطبيب بالهندسة، ويشتغل الفلاح بتدريس السياسة. فتعجز عن تمييز صاحب المعطف الأبيض، أهو جزار أم طبيب؟!

إن المحـــاولات المتنوعة لإحداث التغيير مطلوبة، وتشجيع حرية الأفـــراد والمؤســـسات للتفاعل الحي بمبادراتهم أمر يدل على حيوية المجـــتمع، والمعـــيار الحاكم هنا هو مدى انطلاق هذه المبادرات من أسس علمية، حتى لا تُبتلى المجتمعات بالسفاحين.

فقـــد ترى في بعض المجتمعات "**جزارات التغيير**"، يزين قادتها خـــصرهم بـــسكاكين متنوعة الأحجام، ولا يدرون كثيراً عن علوم التغـــيير والتحول الاجتماعي، إنهم يمارسون الفعل معتمدين العُرف والهـــوى منهجاً، ممتشقين سكاكينهم ويعملونها في جسد المجتمع بلا هوداة، فإن لم تعمل أخذوا سكيناً آخر، فلا بأس من إعادة التجربة.

إن **سياسة "الفتونة"** من أخطر السياسات على المجتمع، حين يُعتمد الارتجـــال أسلوباً لإدارة التغيير، يفتي فيه كل فرد عالماً كان أو جاهلاً، وكأنـــه مجـــال بسيط لا يحدد مصير شعوب، فإن كنا لا نسمح لطبيب هـــاو أن يعـــبث بأجسادنا، فكيف يعبث بأقدار المجتمعات مجموعة من

الهـــواة. وكما أن وجود الطبيب المحترف ضرورة في المجتمع، فإن وجود رجـــالات التغيير المحترفين والملمين بعلوم التغيير من أهم عناصر النجاح. ولـــيس بالضرورة أن يتجسد العلم في شهادات من أرقى الجامعات في العـــالم- فليـــست هذه هي الطريقة الوحيدة للتعلم، فالعلم اليوم متاح وميسر بدرجة كبيرة وأشكال متنوعة لطلبة العلم.

ولعـــل من أسباب زهد جماهير بعض المجتمعات في قيادات الحراك فـــيها هو يقينها أنهم هواة، ليس بالضرورة لأن الجماهير على درجة عالية مـــن الـــثقافة أو التعليم، ولكن لأنهم يملكون الذكاء الفطري الذي يجعل المـــريض العاقل لا يسلم نفسه لأي طبيب كي يجري له الجراحة، ولأنهم يتميـــزون بالتفكير المنطقي الذي يستحث المصاب بألم الأسنان أن يبادر بسؤال طبيبه وكأنه ند له... "ألن تخدرني؟؟"... أضف إلى ذلك ارتفاع سعر الفاتورة التي قد تطلبها قيادات التحول من الجماهير... حينها يهتف الجمهـــور "لستُ مريضاً... ابحثوا عن مريض غيري"... ترى ما موقف الجمهور بعد كل ذلك إن نعته طبيبه بالتخلف والسلبية؟!!

وعندما تفشل عمليات التحول الاجتماعي، فإن أول ما يجب فعله مراجعة ما قامت به قيادات التحول، ومحاكمة الفعل ونمط التفكير بالقواعد العلمية المتعلقة بإحداث التحولات، والتوقف عن عتاب الخصوم ولوم الجماهير، والانشغال بالذات والتأكد من عمق جذور ثقافة التغيير وأدواته لدى القيادات وأتباعها، ترى ما النتيجة المتوقعة لمن يتصدى للتغيير وهو أعزل لا يملك خلفية ثقافية علمية عن وسائل التغيير وحالات نجاح كل وسيلة؟! أليس من دواعي الفشل أن يسعى كل فريق لإثبات فاعلية وسيلته ولو لم تعمل في المجتمع، بدلاً من البحث عن الوسيلة الذهبية؟؟!! إن الفشل هو الصورة الشاحبة الطبيعية التي تظهر عندما ينظر الجهل في

المرآة، فليس السبب الأساس لأزمة الطبيب الذي يعاني – قلة المرضى أو الجزار الذي يحذر الناس من شراء اللحم منه – هو الجمهور الممتنع.

إن المجتمع – كل المجتمع – مدعو لصناعة المستقبل، **والمبادرات المستمرة والجريئة أشبه بنبض المجتمعات ودقات قلبه التي يجب ألا تتوقف**، خاصة عندما ترتكز على أسس علمية، علم بطبيعة القضية المطروحة للتغيير وأطرافها، وبكل الخيارات العلمية للتعاطي مع هذه القضية.

وربما لا يلام الجمهور الذي عبر عن أشواقه للتغيير بشكل عفوي، فالمستيقظ من نومه قد لا يتحسس طريقه إلى مفتاح النور، وإنما يقع اللوم على مراكز الدراسات والقيادات التي لم توجه وتجهد في إنتاج الثقافة التغييرية وإيصالها للجماهير.

ومن ناحية أخرى نرى في بعض الدول المتقدمة حرصاً على العلمية في أية وظيفة يمكن أن يمارسها الإنسان، فحتى الأعمال الحرفية البسيطة التي قد لا تتجاوز رفع شيء من مكانه أو تنظيف مكان ما والتي يُعتقد أن أي إنسان يمكن أن يمارسها، فإن صاحبها لا يعمل بشكل رسمي إلا بشهادة. فهي مجتمعات تتأسس على العلمية.

وعلى المجتمعات التي تتطلع إلى صناعة المستقبل أن تعيد الاعتبار للعلم، وتحول جزارات التغيير إلى معامل التغيير، تزينها معاطف العلماء البيضاء، وتفوح برائحة أجهزة الرصد والتحليل والتنبؤ الحديثة، حيث تعتمد صناعة التغيير على أسس علمية لا تنحاز إلى الأهواء العاطفية، ويصبح العلم مرجعية في كل مجال، **وتصمت الأحكام والخيارات العاطفية لتتحدث الاستراتيجية، وتصبح المؤشرات الدقيقة هي الميزان، فيميز المجتمع الغث من السمين، والهاوي من المحترف، والطريق من اللاطريق، والجزار من الجراح.**

من الإبرة للصاروخ

التخصص لغة العصر

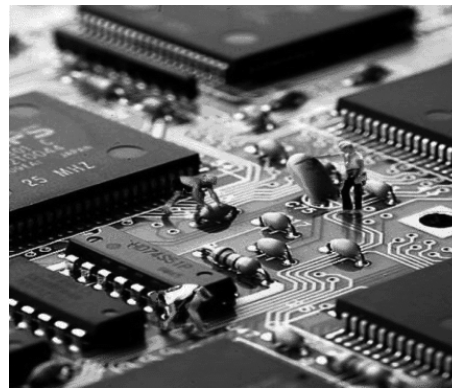

من الإبرة للصاروخ

التخصص لغة العصر

"**مـــن الإبـــرة للـــصاروخ**"... عـــنوان لأحد المحلات لفت انتباهـــي... دخلته فوجدته مليئاً بمنتجات متنوعة... أخذت أبحث عـــنه... ابحث عنه... تعجب صاحب المحل!!... سألني إن كنت بحاجـــة إلى مساعدة للعثور على طلبي... قلت له: نعم... أين هو؟ أجاب متعجباً: وما هو؟... أجبته مازحاً: "الصاروخ"!!

ربما يُعقل أن تجد محلاً متواضعاً يجذب الجمهور بهذه الطريقة، خاصة وأن الجمهور لا يعتقد ابتداء بوجود صاروخ عملاق داخل المحل، لكن كيف بالمؤسسات والمشاريع التي ترفع لافتات كبيرة، وتضع أهدافاً خيالية لجذب الجمهور، لكنها في النهاية لا تسعى إلا لتحقـــيق الحد الأدنى من أهدافها؟! فقد تعلن مؤسسة خيرية أنها تـــدعم قـــضايا اللاجـــئين بينما لا يتعدى عملها كفالة الأيتام، أو يـــروج حـــزب سياســـي إلى أن أهـــم أهدافه إحداث التغيير الـــسياسي عبر العمال، لكن نشاطه مركز على حقوق المرأة، أو تعلـــن شـــركة أنها عابرة للقارات بينما هي عاجزة عن التحرك في محيطها المحلي.

قـــد يجـــذب رفع سلم الأهداف الكثير من الجماهير لفترة، فينـــشغل بعـــضهم بالحدود الدنيا من الأهداف باحثاً عن الإبرة، ويـــسعد أنـــه وجدها واقتناها بعد عناء، لكن هناك قطاعاً كبيراً

سيزاحم الناس، ويقف فوق أطراف أصابع قدميه متطلعاً لأعلى، لعله يجد الصاروخ.

وإذا حاول صاحب المحل إقناع هؤلاء الطامحين باقتناء الإبرة إلى أن يأتي الصاروخ، فهو بالتأكيد يزدري عقولهم. لأنه بعد أن يشرح مزايا إبره سيسألونه... "**أين الصاروخ؟؟**"

بعض المؤسسات تضع لها مجموعة من الأهداف العظيمة تجذب أشواق الجماهير، ولا بأس في ذلك إن تخيلنا أن المؤسسة تمتلك الموارد العملاقة والعقول الجبارة القادرة على بيع كل شيء من الإبرة إلى الصاروخ، لكن التحدي يظهر عندما لا تمتلك عملياً آلية لتحقيق هذه الأهداف، فتنغمس في الحدود الدنيا منها مكتفية ببيع الإبر، وتتحول فكرة بيع الصاروخ بمرور الزمن وتتابع الأجيال إلى شعار أو فكرة تاريخية رمزية أكثر منها فكرة حقيقية يُسعى للوصول إليها.

إن التأكيد المستمر على الأهداف وأصالتها ونبلها لا يعني أنها ستتحقق إن لم توضع لها نظرية عمل تطبقها، وخطة تنتقل بها من الحلم إلى الواقع، وآلية تنفيذ واضحة تؤكد إمكانية بلوغها.

وإن كان يسوغ في عالم الدعاية التجارية استعمال عبارات التشويق المبالغ فيها – على اعتبار وعي الجمهور بأنها مبالغة، إلا أن الأمر يختلف في عالم الفعل الاجتماعي الذي يسعى إلى تطور المجتمع، خاصة أن أحداً لا يجبر أي مؤسسة أن تضع أهدافاً غير واقعية، بل هي خياراتها المحضة، وعلى مثل هذا النوع من المؤسسات أن ينتبه إلى أن هناك قطاعاً شده عنوان الصاروخ وليس الإبرة.

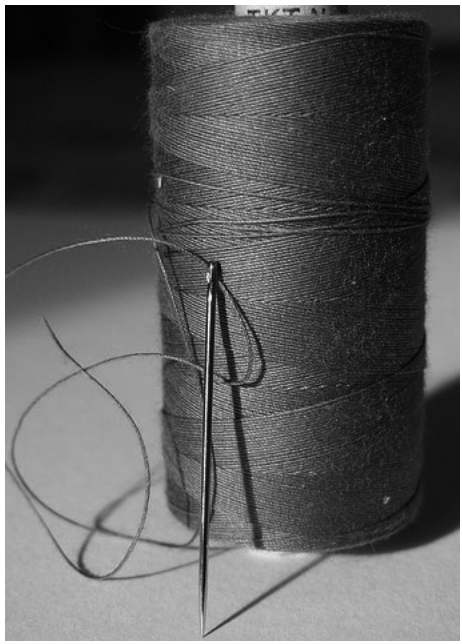

وهـــؤلاء بعـــد اكتـــشاف المكـــان وبساطته سيعجزهم فهم إمكانـــية الجمـــع بين صناعة الإبر التي تخترق أقمشة الملابس، وصناع الـــصاروخ الذي يخترق فضاء الكون... وشتان بين الأمرين!!

فلـــم لا تتخصص كـــل مؤسسة في عمل تتقـــنه واضـــعة أهدافاً يمكـــنها تحقيقها؟؟!! حتى لا يتبرم جمهورها بعد أن يمل طول انتظار مرحلة بيع الصاروخ.

إن التخصص لغة العصر، فاحتياجات مؤسسة تبيع كل شيء تختلف عنها في مؤسسة متخصصة في تصنيع الصواريخ، بداية من عقلـــية القـــيادة وثقافتها، إلى طبيعة الطاقم العامل فيها ومهاراته وثقافـــته، إلى نوعـــية الجمهـــور المستهدف، إلى شبكة العلاقات المطلوبة.

والمـــستقبل تصوغه مفردات التخصص البليغة... وترسمه حزمة الألـــوان النقية الصافية... وعلى عشاق الأحلام أن يحددوا بدرجة عالية مواصفات حلمهم، وأن يتخصصوا في عمل يجيدونه، ويطوروا هذا العمل، حتى يصبحوا أحد أعلامه.

وبانتشار المشاريع المتخصصة (السياسية والاجتماعية والتعليمية والفنية... الخ) تتشكل في المجتمعات أحد أهم مقومات التحول الحضاري، وتتوفر المرجعيات المتخصصة في كل مجال، فتصبح قبلة لاستلهام الخبرات، وحينها يمكننا أن نمسك فرشاة ألواننا، ونكتب على بوابة مجتمعنا بخط براق... **من الإبرة للصاروخ**... فالمجتمع.. كل المجتمع.. ستجد فيه كل ما تحب... "**من الإبرة للصاروخ**".

تحدي الجاذبية

انتبه... حتى لا يسقطك الصعود

تحدي الجاذبية

انتبه... حتى لا يُسقطك الصعود

أنـــا أعلى... لا... بل أنا... بل أنا... جذبني صوت الأطفال وهـــم يتنافسون في قذف حجر صغير لأعلى، بدأت أرقبهم، كل ينتظر إشـــارة الـــبدء، ويستجمع أنفاسه ليقذف الحجر إلى أعلى بأقصى قوة، فتتـــسابق الأحجـــار صعوداً، كان التنافس يدور حول أيهم أقدر على تحدي قانون الجاذبية لفترة أطول... لكن ليس هذا هو ما أدهشني!!..

فبيـــنما أنا أنظر عالياً متتبعاً أكثر الأحجار تحدياً؛ إذا بي ألمح في السماء طائرة ورقية خلابة الألوان، تتبعت خيطها متجهاً بنظري نحو الأرض لأبصر طفلاً صغيراً يسخر من الجاذبية في وقفة الواثق، واضعاً يداً في جيبه، واليد الأخرى تمسك حبل الطائرة. لقد صمم طائرته لتعين الهواء على حملها، وأعد حـــبالها لتسهل قيادتها وتحديد ارتفاعها، واختار منطقة الطيران بعيداً عن الأسلاك وأعمدة الكهرباء..

وتـــرتفع المشاريع الناجحة بدورها إذا توفرت لها ركائز قوية، فامـــتلكت مقومات الصعود، والحفاظ عليه، فتحدد موعد الإطلاق حين يكون المناخ مناسباً للتحليق، ويبذل أصحابها الجهد المستمر في

تقوية عوامل استمرارها ونموها، بداية من تطوير الفكرة النظرية، إلى تطوير الأهداف، ثم استراتيجيات وآليات وأفضل الأشكال التي يمكن أن تحقق هذه الأهداف.

بعض المشاريع تبدأ مندفعة وترتفع بقوة إلى أعلى، لكنها لا تملك مقومات التحليق عالياً لفترة طويلة، فلا تلبث أن تهوي ويتراجع سهمها، وبعضها لا يحسن اختيار الموقع، فيحلق وسط أعمدة وأسلاك الكهرباء.

على الشباب الطموح أن ينتبه قبل أن يتنافس هاتفاً "أنا أعلى... أنا أعلى"، هل هو أعلى من حجر في طريقه للسقوط، أم أعلى من طائرة مستقرة في السماء؟؟!! عليه ألا ينافس المشاريع الحجرية الثقيلة التي ستسقط سريعاً، أو يغتر بصعود سريع خداع، فمن السهل أن تحلق بمشروعك وفكرتك لأعلى، وأن ترمي الحجر ثم تفقد السيطرة عليه، فليس من الحكمة بعد أن تقذف الحجر أن تبدأ في التفكير في كيفية استبقائه عالياً، فقانون الجاذبية لن يمهلك، وكل ثانية تصعد فيها تعني أنك تقترب من السقوط.

إن المهارة الحقيقية تكون في إدارة التحليق، وتحدي الجاذبية، والتمرد على السقوط، وهي أمور لا تتم بعد الإنطلاق، بل هي الجهد الجبار الذي **يتم التجهيز له عادة قبل إطلاق المشاريع للهواء**، وهي المرحلة التي لا تظهر للجمهور، لكنها من أهم المراحل، وتتطلب الصبر... الصبر على انتظار الفرصة المناسبة لإطلاق المشروع، بعد أن تتوفر الخيوط التي ستمسكه بها أينما حل.

قد يظن البعض أن بداية مشروع تعني بداية ظهوره، فيتساءلون متى نبدأ المشروع؟؟ ولو تأملوا لوجدوا أن مشروعهم بدأ منذ مرحلة

بلـــورة الأفكـــار، ثم مرحلة توفير الروافع اللازمة لانطلاقه، لكنه لم يـــصل بعد إلى مرحلة الإطلاق للجمهور. فمشروع إطلاق صاروخ فـــضاء تـــسبقه ســـنوات من الإعداد قبل أن نرى عزمه على تحدي الجاذبية وهو يلفظ نيران وقوده. وكل هذه السنوات المخبأة عن أعين الجمهـــور لا تطعـــن في أن المشروع قد بدأ. لكن لحظة الصعود لم تحـــن.. وكلمـــا كان الطموح في الصعود أعلى كلما تطلب تحضيراً أعلى...[1]

لـــيس كل صعود يُحمد، وليس كل تقدم سريع علامة نبوغ، **يمكـــنك أن ترمـــي حجـــراً بقوة إلى أعلى، لتتباهى مبتسماً بقوة عـــضلاتك، وتـــسعد بسرعة الارتفاع، لكن انتبه.. فسرعان ما تتلاشـــى ابتـــسامتك، وتتبدل سعادتك، حين ترى الحجر يهوي مسرعاً ليرتطم برأسك.**

(1) يجـــب أن لا يوقع هذا الجهد التحضيري أصحابه في فخ الانشغال بالإعدادات التي قد تأكل الزمن وتحرم المشروع من لحظة الانطلاق، فالمقصود بالحديث هنا التحضير المتوازن الجيد للصعود، وعدم الاغترار بصعود أجوف.

الكَرَكْ

أيديولوجيا المستقبل

الكَرَكْ

أيديولوجيا المستقبل

دعانا أحد الأصدقاء لتناول مشروب في الكافيتريا... أتى المشروب يتراقص بخاره.. أخذ أحدهم رشفة ثم قال: "هذا حليب مخلوط بشاي".. قال آخر: "هذا شاي مخلوط بحليب... هتف الثالث: "بل ألمح رائحة قهوة في المشروب"، حينها نظرنا إلى المضيف لعله يفك الشفرة، فقال: هذا مشروب مشهور باسم "الكَرَكْ"[1].... فأشرت بيدي نحو التلفاز قائلاً: "وهذا هو التلفاز الملون"!!

(1) مشروب "الكرك" هو مشروب شائع بهذا الاسم في بعض دول الخليج، وله أكثر من طريقة في تحضيره، وقد عبرنا عنه هنا بهذه المكونات إيصالاً للمعنى.

يلجـــأ البعض إلى تصنيف الناس وفقاً لتقسيمات يحتويها رأسه، فالـــشخص في سلوكه إما تافه أو جاد، ومن ناحية توجهاته الفكرية إمـــا علمانية أو دينية، وهكذا يجب تصنيف كل إنسان وفقاً لخارطة التـــصنيفات في العقل، إما شارب شاي أو شارب حليب أو شارب قهوة!!

لقد كان التلفاز في البداية يقوم على الصورة المكونة من لونين، الأبـــيض والأســـود، ثم ظهر التلفاز الملون مرتكزاً على ثلاثة ألوان أساســـية، الأحمر والأخضر والأزرق، محاولاً إقناع الجماهير أن الحياة ليـــست خـــياراً بـــين الأسود والأبيض، فالكون مرسوم بخليط من الألـــوان، وليست ألوانه الأساسية هي الأبيض والأسود، إما معنا أو عليـــنا، بل إن الألوان الأساسية نفسها يتدرج كل لون منها في 256 درجـــة لونـــية، تـــبدأ من 000 وتنتهي بـــ 255، وعبر دمج هذه الدرجات نبصر الحقيقة، أو نكاد نبصرها.

ورغـــم دخـــول لغـــة الألوان واختراع التلفاز الملون في القرن العشرين إلا أن بعض الحركات السياسية حينها أبت إلا الاصطفاف حول الأيديولوجيا، محاولة إيجاد حالة من الفرز للمجتمعات، معتبرة الأيديولوجيا راية يُقاس صلاح الناس بمدى قربهم منها، فهذا علماني، وهذا إسلامي، وآخر شيوعي وآخر ليبرالي.

وقد تفاعلت هذه الأطروحات خلال القرن الماضي، وأكد كل فريق على ضرورة المفاصلة، فاندلعت حرب الأيديولوجيا التي كانت قائمة على إثبات أخطاء الآخرين، وغاب الأفق الثقافي والمعرفي الذي يـــبحث عـــن أفضل ما طرحته كل أيديولوجيا، فهل يشهد مسار الأيديولوجيا تطوراً؟؟

ربما لا يشهد المستقبل نهاية الأيديولوجيا، لكنه سيشهد تطورها وإعـــادة رســـم ملامحهـــا ومكوناتها، باعتبارها مجموعة من الأفكار المترابطة التي تفسر الواقع وتستشرف المستقبل، وستكون إفراز لخليط بين الأفكار لإنتاج منتج فكري جديد أشبه بالـــ "كَرَكْ"، فليس كل مـــا طـــرحه مفكرو الشيوعية شراً، أو ما وصل إليه الليبراليون كله واجب الاتباع، أو فهم الإسلاميين لدينهم بالضرورة كله صحيحاً أو خطأً، ففي كل فكر سنجد دراً – قلت أو كثرت–أطلقها مفكروه، والأحـــرى بـــنا أن نبذل الجهد في التنقيب عن المعدن النفيس تحت الأرض، بـــدلاً مـــن أن ننظر باستعلاء وسطحية مروجين لأن عمق أراضي الآخرين مظلم، وكلما ازددنا غوصاً في الأعماق كلما ازداد تـــشبثنا بـــالظلام!! خاصـــة أن الـــشباب الصاعد لم يشهد صراع الأيديولوجـــيا في القـــرن السابق، وليس من الحكمة أن يرث عداء الأفكـــار قـــبل أن يدرسها بهدف الاستفادة من أعظم ما توصل إليه الفكر الإنساني في كل عصر، وليس من الإنصاف أن يقول بنضوب أراضي الآخرين من كل المعادن النفيسة.

لـــيس أبـــناء الـــيوم بالضرورة مضطرين لاتباع أيديولوجيات طـــرحت في القـــرن الماضي، فهي لم تكن إلا استجابات لتحديات الواقـــع حيـــنها وتصورات لطريقة تغييره، فليتعرفوا عليها ويأخذوا أعظـــم ما فيها، ثم يؤمنوا أن القرن الجديد سيشهد حتماً أطروحاته الجديـــدة، التي ستُعجز هواة تصنيف البشر أن يجدوا للشباب الجديد تصنيفاً في قاموسهم الأيديولوجي القديم.

إن القـــرن الجديد سيشهد شباباً حراً يصوغ أيديولوجيا جديدة قائمـــة على العلم، وعلى الاستفادة من المعرفة الإنسانية أينما كانت،

لا تلفظ التراث[1] كلية ولا تبالغ في مجاملته، فهي أيديولوجيا ديناميكية وليست استاتيكية، تتطور بتطور العلوم ولا تأبه كثيراً بعبادة أصنام المفكرين ورواد الإصلاح لترتل كلامهم على اعتباره ذكراً سماوياً، أو تدخل في معارك للدفاع عن الأموات منهم وإثبات أحقيتهم بالاتباع. إن أيديولوجيا المستقبل ليست حليباً وإن كان الحليب جوهرها، وليست شاياً وإن كان الشاي يعطيها المذاق، وليست قهوة وإن كانت القهوة هي صاحبة البصمة المميزة، إنها شيء جديد اسمه "الكَرَكْ".

وشباب هذه الأيديولوجيا ليسوا علمانيين أو ماركسيين أو إسلاميين أو ليبراليين بمفهوم القرن الماضي، فهذه المصطلحات تعجز عن أن تبلور فكرهم، لأنهم يدركون عمق التداخل بين الأفكار في الفكر الإنساني، ويؤمنون أن الحقيقة لا يحتكرها أحد، وأن في ثنايا كل طرح من هذه الأطروحات النافع من الأفكار التي يمكن الاستفادة منها، فليس هناك أبيض أو أسود، عالم أوجاهل، فالإنسان

(1) لا أتعرض في هذا الموضوع لفكرة الأديان وعمل خليط من المعتقدات، ولكنني أتحدث عن الاستفادة من التجربة الإنسانية في إدارة الحياة وتطويرها، فليست الأيديولوجيا مرادفاً للدين، وليست بالضرورة كل الأيديولوجيات منطلقة من مرجعية دينية، وهي حين تنطلق من مرجعية دينية لا ترادف النص المقدس، وإنما هي نتاج فهم النص المقدس، يضاف إليه المخزون الفكري من علوم العصر والثقافة السائدة في عقل المنظر طارح الأيديولوجيا، لذلك لا توجد أيديولوجيا – حتى ولو لها مرجعية دينية – مقدسة، أي أن أصحاب الدين الواحد قد يخرجون بأيديولوجيات متعددة، وإبداع أيديولوجيا جديدة تجيب على أسئلة الواقع يتطلب بجانب العودة إلى النظر في النصوص المرجعية إلى عقل حر يطلع على كل الثقافات والأفكار بهدف الاستفادة منها وأخذ أفضل ما فيها.

قد يكون عالماً بقضية وجاهلاً بأخرى، مؤيداً لموقف ومعارضاً لآخر. إن إنسان القرن الجديد يدرك وجوب التخلص من وهم الأبيض والأسود في العقول، فاللون الأبيض خليط بين الأخضر والأزرق والأحمر بدرجة 255 لكل لون، واللون الأسود خليط بين الأخضر والأزرق والأحمر بدرجة 000 لكل لون. فالأسود هو نتاج خلطة فكرية معينة، والأبيض هو نتاج خلطة أخرى، والقول بنقاء فكرة وعدم استفادتها من الأفكار الأخرى يعني جمود هذه الفكرة وتجاوز التطور البشري لها، والأفكار تتلاقي في بعض نقاطها وتتنافر كذلك.

شرحت لهم فكرة الألوان بعد أن أشرت صوب التلفاز الملون في الكافيتريا. حاول أحد زملائي تصنيفي بين العلمانية أو الليبرالية أو الماركسية أو الإسلامية فسألته ألا يجهد نفسه، فمكاني ليس في كوب القرن الماضي، ومصطلح "كَرَكْ" لا يمكن لإنسان أن يتخيله إن لم يره-بل يتذوقه- من قبل، أخبرته أنه بذلك يحاول قذفي في غياهب مقاهي القرن العشرين، متخيلاً إياي مرتدياً الطربوش الأحمر وأندد بالاحتلال الإيطالي لليبيا، حاولت لفت انتباهه إلى أن تصنيفاته كلها من الماضي في حين أن رسالتي من المستقبل، وأنني أنتمي إلى جيل شبابي ليست له ثارات مع الأيديولوجيات، فعدد الألوان التي يمكن الحصول عليها بمزج الألوان الثلاثة الأساسية هي

$$256 \times 256 \times 256 = 16777216 \text{ لوناً}$$

وكذلك حجم أو عدد ما يمكن أن ينتج في العقل من تصورات بدمج أفضل ما وصل إليه الإنتاج الإنساني المعرفي الفكري هو عدد

ضـــخم أعقـــد مـــن إمكانية تصنيف صاحبه وفق تصنيفات القرن العشرين قبل اختراع التلفزيون الملون، والنكهة الجديدة للأيديولوجيا ليست نكهة الشاي أو الحليب أو القهوة، ولكنها نكهة متفردة اسمها "**الكَرَكْ**".[1]

(1) قـــبل الحـــرب العالمية الثانية كانت هناك ثلاثة أنظمة سياسية أساسية: النظام الفاشي مثل ألمانيا، والشيوعي مثل الاتحاد السوفيتي والديمقراطي الرأسمالي مثل أمريكا، بعد ذلك ظهرت أنظمة في الوسط مثل النمسا وألمانيا، حيث اختارت نمـــوذجاً خاصاً بها يجمع بين مزايا الاشتراكية في النظام الاقتصادي بدرجة من الدرجات، ومزايا الديمقراطية في النظام السياسي.

مين إللي طفى النور؟!

روعة التنوع تبني المجتمعات

مين إللـيّ طفى النور؟؟!!

روعة التنوع تبني المجتمعات

في قسوة حر الصيف... أضربت الأنوار عن العمل لتعلن انقطاع الكهرباء... لم يكن ظلام الحجرة أشد قسوة من خيبة الأمل التي أصابت الأطفال الملتفين حول شاشة التلفاز... إلا أن خيبة الأمل تحولت إلى خوف من المجهول حين نظر الجميع - صغاراً وكباراً- إلى مبردات الهواء يستحلفونها بالله أن تعمل صارخين: "**مين إللـيّ طفى النور؟!!**".

مذهل هذا الاكتشاف الذي نقل البشرية نقلة كبرى في كل المجالات، وهو اكتشاف لحقيقة تغلف الكون... بل وتغلف نمط سلوكنا وتفكيرنا... إنها الكهرباء.

إن الكون مشبع بشحنات كهربية، والإنسان بطبيعة الحال يحتوي على شحنات كهربية، أي أن فلسفة الكهرباء جزء أساسي من تكويننا. جزء من فلسفة الحياة.. فهل فهمنا كيف تعمل الكهرباء التي تحتويها كل ذرة منا؟؟!!

من المدهش في الكهربية أن الأجسام الحاملة لشحنات متشابهة تتنافر، بينما تتجاذب الأجسام الحاملة لشحنات مختلفة، فهل الكون قائم على لقاء المختلفين أم المتشابهين؟؟!! أليست الشحنات الموجبة تنفر من نظيراتها الموجبة ولا تنجذب إلا إلى شحنات سالبة، فالحياة قائمة في كثير من أشكال توازنها على

الاخـــتلاف. ومزيج من الاختلاف والتشابه يخلق معادلة إنسانية راقية لإدارة الحياة.

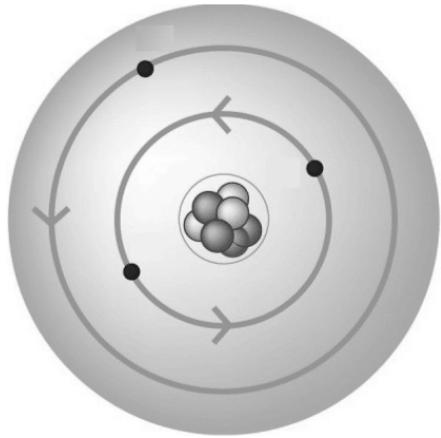

هـــذا الفهم لانجذاب المختلفين ينعكس على حياتنا بشكل أو بآخر على مستوى الأفراد والمجتمعات. فامتلاك شحنة فكرية قوية لا يكون إلا بمعرفة الإنسان بضد ما يؤمن به، ولا يسعه أن يفهم الحياة بـــدون مخالطة كل الأفكار التي تُطرح فيها. وتتطلب إقامة علاقات اجتماعية متزنة اقتراب الإنسان من كل شحنات مجتمعه، ليس تفضلاً علـــيهم أو مـــنة، وإنما من أجل أن يصل إلى حالة من النضج المعرفي والعلاقـــات البناءة، من أجل أن يفهم محيطه ويطرح التساؤلات على عقله متثبتاً من صلابة ونضج ما يعتقده.

إنـــنا بحاجـــة إلى المختلفين معنا، ولهم ندين بتطور أفكارنا، ومخالطـــتهم قـــد تكون أكثر نفعاً – على الصعيد الفكري- من مخالطـــة من يدندنون بنفس أفكارنا، فلنبحث عنهم إن لم يكونوا بجـــوارنا، في الواقـــع أو في الكتب، على شاشات التلفاز ومواقع الإنتـــرنت، فهـــم الذين يستحثوننا على البحث والنظر والتأمل،

ولـــولاهم لمـــا تزحزح إنسان عن فكره أو معتقده متجهاً لما رآه أصوب.

وكذلك المجتمعات يجب أن تعي قيمة التنوع وتعتبره عامل بناء، حـــين تتوافـــر فـــيها الـــشحنات السالبة والموجبة، لتولد تياراً ينير الطـــرقات، ويشيد المصانع والاختراعات، ويبني مجتمعاً قوياً متلاحماً يعلـــم أن سر قوته في تنوعه. فها هي الهند تجعل من تنوعها سلاحاً رغم تعدد لغاتها ودياناتها، ومن قبل فعلت السويد وأمريكا وغيرهما، فحولت التنوع إلى قوة، لأنها أحسنت ضبط معادلة الإلكترونات – بدرجة من الدرجات!!

فـــلا تـــستقر الشحنات السالبة (الإلكترونات) حول الذرة إلا نتـــيجة عمليات التنافر والتجاذب، فهناك قوة تحاول طرد الشحنات الـــسالبة وإبعادهـــا عن الشحنات الموجبة، بينما هناك أخرى تحاول جـــذب الـــشحنات السالبة إلى الموجبة، وهذا التفاعل بين القوتين (الطرد والجذب) هو الذي يجعل الشحنات تدور مستقرة حول النواة كما تدور الكواكب حول الشمس في مشهد بديع.

ومـــشهد الجـــذب والشد مشهد طبيعي في عالم الأفكار، لكن المخيف أن نسلط الضوء على أحدهما دون الآخر، لأنه مشهد واحد في نفـــس الـــزمان والمكـــان، لا يمكن الاستمتاع به إلا وهو كل لا يتجـــزأ، فقـــد يلتقط شخص ما صورة لمشهد قوى الطرد تحول بين الموجب والسالب في مشهد طائفي متعصب، وقد يلتقط آخر صورة جزئية لمشهد الجذب الذي يوهم الناظر أن الشحنات السالبة ستلتصق بالـــنواة لتنصهر الأفكار في فكرة واحدة لا يمكن إلا أن تكون فكرة ديكتاتورية، إلا أن المشهد الكلي يبرز تفاعل الطرد والجذب لتستقر

الـــشحنات وتـــتقدم المجتمعات. والمجتمعات التي تنشط فيها حركة الفكـــر وطرح التصورات، ويُترك المجال كي تتدافع الأفكار فيها بين طـــرد وجـــذب، تلك هي المجتمعات المستقرة التي لا يُخِل بحركتها تطرف فكري، وتكتسب مناعة ضد الضمور الثقافي.

ســـرى التـــيار الكهربائـــي من جديد... هتف الصغار من أعماقهم "جاء النور"... وما دروا أن سريان التيار ليس إلا نتاج التمرد.

فهـــناك الإلكتـــرون المتمـــرد الذي يبتعد عن النواة وتضعف جاذبيـــتها لـــه، حيـــنها يسعى للتمرد على التبعية ويتحرر من أسر الطواف حول النواة متذمراً على أن يتمتم بما لا يفهم، فينطلق شارداً بين الذرات، وبفضل هذه الانطلاقة، وبجرأة هذا التمرد يتولد "**التيار**" الكهـــربي. ذلـــك التيار الذي أضحى أحد أسرار الحياة. وهو تيار المتمردين على الأفكار المميتة بأفكارهم المستقبلية، الذين يخالفون من حـــولهم ليثبتوا فساد القول بالاستسلام للدوران حول الواقع المر أو الفكر الجامد.

إن الكهـــرباء جزء أصيل في تركيبتنا، أرى أننا يجب أن نستفيد من قوانينها لنعيش بشراً طبيعيين، نبحث عن غريب الأفكار، وننقب عن المختلفين عنا ولو بدافع فضول التعارف، ونشجع التمرد في ثوب انطـــلاق واع ليـــسري تيار التقدم في مجتمعاتنا... إنها لغة الكهرباء فلنتقنها، ومنطق الفطرة فلنعد إليها...

وعلـــى كـــل حـــال.. يكفي أن أحداً لا يستطيع أن ينكر أن السبب الأعظم في اكتشاف الكهرباء كان "**الاحتكاك**". فهل نحسن صـــناعة كهرباء المجتمعات القوية بفن الاحتكاك؟؟!! وهل نبرع في

إدارة التـــنوع وإطـــلاق التيار لينعم الناس بمدفأة الترابط ونور الحب ووميض الفكر؟؟!!

بعـــد أن أنهـــيت حديثي قال أحد الجالسين مشيراً إلى المصباح المضيء متهكماً: "**هذا هراء... لا توجد إلا فكرة واحدة يجب حمل الـــناس عليها... وتباً للإلكترون المتمرد وللتيار معاً... لا يوجد ســـوى الموجب وفقط**"، حينها نظرت إلى من بجواري قائلاً: "**مين إللـيّ طفى النور؟؟!!**"

ابتعد كي تقترب

فن الرؤية الكلية

ابتعد كي تقترب

فن الرؤية الكلية

وقفَـــتْ أمام المرآة... اقتربَتْ... ابتعدَتْ قليلاً... اقتربَتْ... اقتربَتْ جداً... ابتعدَتْ جداً...

اقتـــربَتْ لتـــزيل آثار صـــابون علـــى فمهـــا... وابـــتعدَتْ قلـــيلاً لتُمَـــشِّط شعرها... اقتربَتْ لتزيل بقايا شعر على كتفها... اقتربَتْ جداً لرؤية عيـــنها التي احمرت كأنها تعاقبها على السهر... وابتعدَتْ جداً لترى كامل صورتها في المرآة وتتأكد من تناسق ألوان الزي مع الحذاء.

إنـــنا نمـــارس بصفة يومية هذا السلوك بين الاقتراب والابتعاد، وندرك بطبيعتنا أن رؤية الأشياء وفهمها يتطلب الابتعاد كما يتطلب الاقتـــراب. فكلها أدوات للرؤية، يجدر استخدامها بفن وتلقائية. غير أنـــنا نحـــتاج إلى المزيد من هذا الفن والتلقائية في تعاملنا اليومي مع الأفكار، وتكوين وجهات النظر. فعندما تبدي رأيك في مؤسسة أو قـــضية تجد أحياناً صواعق تنصب عليك، كأن تخترق أذنك مقولات مثل "**أنت لا تمتلك الصورة الكلية**"، "**أنت تتحدث وأنت بعيد عن الحدث**". والعجيب أننا إذا سلمنا بأن على كل صاحب رأي – قبل

أن يـــتحدث -أن يلتحق أولاً بالمؤسسة أو الحزب الذي يبدي رأيه فـــيه؛ لكـــان على الكاتب السياسي الذي يدين الاقتتال الداخلي أن يحمل مدفعه وينخرط في صف من يدينه ليستوعب الموقف، ولطلبت الحكـــومات من أحزاب المعارضة - قبل أن تعارض- أن تنضم إلى الحـــزب الحـــاكم لعلها تتفهم عظم المسئولية، ولأصبح واجباً على الـــشعوب الرافضة للهيمنة الأجنبية أن تستسلم لبرنامج الهيمنة أولاً لعلها تدرك ما لم تدركه بعيداً عن البرنامج.

ترى هل تفعل المؤسسات نفس الأمر مع المادحين؟؟ هل تقول لهـــم لا تمدحوا قبل أن تقتربوا الاقتراب الكافي؟؟ فإن كانت منهجية الـــنقد -ســـلباً أو إيجاباً مدحاً أو ذماً- قائمة على الاقتراب، فلم لا تُعـــتقل كلمـــات الثناء والمديح، ولا يفرج عنها إلا إن ثبت اقتراب المادح من الفكرة؟!

يقولـــون "مـــن يده في النار ليس كواضع يده في الماء"، وهذا صـــحيح، فالـــذي يضع يده في الماء أقدر على علاج صاحب اليد الملتهـــبة، لأن ألمه في الغالب سيفقده القدرة على إعمال عقله. وليس مـــن الحكمة أن نرسل له كتيبة إسعاف أكلتها النار، ربما اشتم منها رائحة الموت، بدلاً من أن تنعشه بعبير الحياة.

إننا أمام سؤال جوهري... ما طبيعة الاقتراب المطلوب حتى يمكـــن محـــاورة المؤســـسات وأصحاب المشاريع، وما درجة هذا الاقتراب؟ وكيف يتم؟

ألسنا أحياناً نكتفي بالاقتراب من المنتج حتى نحكم على جودته؟ ألـــست إن قـــدمت لك وجبة فاسدة في مطعم تشتاط غضباً وربما توجع الإدارة توبيخاً إن قالت لك: "معذرة سيدي... أنت لا ترى

الـــصورة الكلـــية... أنـــت تحكم على الظاهر... لدينا فريق طهي محتـــرف"؟!.. أليـــست بعـــض المؤسسات كالبنوك ترتضي وجود صندوق الشكاوى كوسيلة لتلقي الآراء من الخارج دون أن تشترط على المقترح الإلمام بتفاصيل إدارة البنك؟! ولم نر فريق كرة قدم يتهم مـــشجعيه بأنهم في برج عاجي عندما ينهالون على فريقهم بالعتاب ويـــنادونه بوقف عبث إضاعة الأهداف، رغم أنهم لا يعلمون كثيراً عـــن ملابسات إخفاق الفريق. إننا بحاجة إلى تحديد معنى الاقتراب.. فهـــل يكفـــي الاقتراب من المنتَج؟ هل تكفي رؤية المسار والنتائج للحكم بأثر عكسي على خلل أو صواب الإجراءات غير المرئية؟؟!!

أحياناً يكون الابتعاد المكاني هو عين الاقتراب من تكوين صورة ســـليمة، فالابـــتعاد مطلوب لتجنب التفكير تحت مطارق الضغوط. وهـــو في ذات الوقت اقتراب من فهم الواقع، ورؤية صورة لا يمكن الـــتقاطها إلا من بُعد، والاقتراب المكاني كذلك مطلوب لأخذ بعض الصور التفصيلية الدقيقة.

لـــذلك فصناعة المستقبل تتطلب مؤسسات واعية، تتلمس آراء المحلقين، وتفتخر بحجم الراصدين لها على اختلاف ارتفاعاتهم، وتؤمن بأهمـــية دور الـــتقويم القريب البعيد، فهو قريب بعمق أدوات رصد الظاهـــرة بمختلف أبعادها، وبعيد عن أن يذوب فيها أو يكون جزءاً منها. فشتان بين الاقتراب والاندماج. شتان بين أن تقترب لتذوب، وبين أن تقترب لترصد.

نحـــن في حاجة إلى ارتفاع مناسب للتحليق، فإن ارتفعنا بعيداً رأيـــنا المعـــالم الكـــبرى دون التفاصيل، وإن اقتربنا شيئاً فشيئاً تبدأ التفاصـــيل تتـــضح، لكنك إن هبطت إلى الأرض عجزت عن رؤية

الـــصورة كاملـــة، **فربما ظننتَ أن العالم هو المربع الذي تقف فيه.. فكـــيف إذا كنت مدفوناً في حفرة داخل الأرض؟؟!! حينها ترى العالم كتلاً صخرية، وتتخذ من شعاع الشمس عدواً!!**

العيب في "الشوربة"

أدوات تبحث عن عقول

العيب في "الشوربة"

أدوات تبحث عن عقول

يـــا له من مذاق ساحر وملمس دافيء!!. ففي ذلك الجو البارد تكون "الشوربة" خير حليف لي للتغلب على قسوة الشتاء، فبمجرد رفـــع كفـــي فوقها يداعبني بخارها الدافيء، وكلما اقْتَرَبَت من فمي مـــستقرة في ملعقتي؛ كلما أصاب وجهي لفحها.. أوشكت أن أفرغ منها، وأوشك أن يُتلف أعصابي.

فعلـــى الطاولة المجاورة يجلس طفل صغير مع أمه، يبذل قصارى جهـــده في تـــناول "الـــشوربة" دون جـــدوى، فهو يمسك الملعقة "بالمقلوب"، بطريقة أضحكت قطرات "الشوربة" الساخنة، وكيف لا وهـــو يغمس ظهرها المحدب في الإناء محاولاً اصطياد القطرات دون جـــدوى، وكـــم وبخته أمه كي يستخدم تجويف الملعقة في استدعاء "الشوربة"؛ لكنه عجز عن فعل ذلك.

بدأ ينفخ في "الشوربة" لعلها تلين وتسلم الانقياد له، ثم يغمس الملعقـــة المقلـــوبة بنفس الطريقة دون جدوى، أخذ يدير الإناء لعله يغـــرس صنارته في منطقة تستجيب له، رفع الإناء ونظر إلى قعره لعل شيئاً ما يحول بينه وبين بغيته.

تـــساءلت!! ما الذي يجعله يصر على تلك الطريقة العدمية في تناول "الشوربة"، لم لا يمسك الملعقة مثلنا؟! لم لا يستطيع فعل ذلك رغم تنبيهات أمه؟؟!! لم يجعل الملعقة أرجوحة للقطرات تصعد فوقها

ثم تتـــزلج عليها؟؟! أهو غير مقتنع بما تقوله أمه أم أنه يعاندها؟؟!! أم يعبر عن عجزه عن فعل ما اقتنع به؟؟!!

لا... لا يبدو معانداً؛ فهو يجهد نفسه، وها هو يضجر من هذا الطعـــام. إذن ما الذي يدور في عقله الآن؟؟!! هل يلعن هذا الطعام الزئبقي؟؟! ترى لو طلبت أمه له طبقاً من الأرز هل يتغير الوضع؟؟!! هل يرى المشكلة في الملعقة أم في الطعام أم في الطاولة أم في أمه؟!!

يـــبدو لي أنـــنا يمكـــن أن نستخدم الملعقة كوسيلة تتزلج عليها قطـــرات "الشوربة" فرحة ضاحكة، أو نستخدم نفس الأداة بفاعلية، حين نديرها بزاوية 180 درجة لتغرف ملايين القطرات.

تـــــــساءلت في نفـــسي: إن جـــربتُ وســـيلة وفشلت.. هل العيب في الوسيلة؟ لذا يجـــب تغييرها، أم أنني أمـــــسك بالوســـــيلة الـــصحيحة مـــسكة خاطـــئة؟ وعـــندما لا يحـــــالفني الحـــظ في اســـتعمال "الملعقة" فهذا لا يعني بالضرورة إغلاق مصانع "الملاعق"، بل ربما يعني فتح أقفال العقول.

كذلك راعني ما رأيت من فعل القطرات، فأدواتنا إن لم نحسن اســـتخدامها بجهلـــنا؛ سيـــستخدمها خصومنا الأكثر علماً بالأداة، والأكثر جاهزية لاستخدامها، وها هي القطرات تعلن افتتاح ملاهي

الملاعـــق، وتتداعى إليها آلاف القطرات متزلجة على ظهور الملاعق المحدبة.

قـــد يهتف الطفل في أمه –بعد أن تصب على أذنه تلك الخطبة الـــساخنة المملة التي جالت بخاطري: "هذه أداتي، وأنا الذي أمسك بها... العيب في "الشوربة"".

ربمـــا لم يـــدرك أن استخدام الأداة يختلف عن الإمساك بها، فلـــيس كـــل ممسك بأداة مستخدم لها، فهو يمسك الأداة، لكن القطرات هي التي تستخدمها كمدينة ملاهي. ترى هل يمكن حقاً أن يـــصبح المالك الممسك بالأداة أجيراً لدى مستخدم آخر؟؟!! هـــل يُعقـــل أن تكـــون مواهبـــنا وقدراتنا لا يستخدمها سوى خصومنا؟؟!!

بـــدأت الأم تمسك بيد الطفل وهو يمسك بالملعقة لتعلمه كيفية استخدامها، فغطست الملعقة في "الشوربة"، ثم خرجت عائدة بغنيمة كبيرة، فرحتُ للطفل، آن له أن يستمتع بطعامه، ثم ما لبثت قسمات وجهـــي الفَـــرِح أن تبدلت ألماً، ها هي الأم تترك يد ابنها، وكلما ارتفعـــت الملعقـــة إلى أعلى كلما وجف قلبي كمشاهد ينتظر قفزة لاعـــب "السيرك"، وكلما دنت الملعقة من فم الطفل، كلما أصبحت اللعـــبة أكثر إثارة، فها هي القطرات تقفز من الملعقة ممارسة رياضة الغطس في الإناء في لعبة أكثر جرأة من الأولى، **فالأيادي المرتعشة لا تحقق مرادها، حتى وإن أمسكت أدواتها بطريقة سليمة**. لقد كانت يـــد الطفـــل ترتعش كلما اقتربت الملعقة من فيه خشية ألا يفلح في الاحـــتفاظ بـــــ "الـــشوربة"، بينما كانت "الشوربة" تتهادى مع الاهتـــزازات المرتعشة، فرحة بدنو لحظة القفز، حيث ترتفع هامات

قطـــرات "الشوربة" في الإناء عالياً، منتظرة قفزة الأبطال من الملعقة، مصفقة لهم فور ملامستهم سطح "الشوربة".

تابعـــت موقف الطفل... فبعد أن فكر وقدر ونفد صبره، قرر تغيير الوسيلة برمتها، لقد بحث فوق الطاولة يميناً ويساراً، ثم انفرجت أســـاريره، بعـــد أن توصل إلى الطريقة العبقرية في تناول "الشوربة" الـــشهية، توقعت أن يتجاهل الملعقة، وكنت سأغفر له ذلك، فليس لفـــنون "الإيتيكـــيت" مكـــان في هذا المأزق، والتنقل بين الوسائل مطلوب لتحقيق الأهداف، فليمسك بالإناء ليرتشف منه مباشرة دون وســـيط، لكـــنه لم يفعل، لقد نحى الملعقة جانباً بعد أن جربها واقتنع بعقمهـــا، مـــشمراً عـــن ســـاعديه، وممسكاً ب "الشوكة" كخيار استراتيجي!!

ماذا نفعل بالسيارة؟؟!!

المستقبل وتحدي الوسيلة المزيكة

ماذا نفعل بالسيارة؟!!

المستقبل وتحدي الوسيلة المُرْبكة

أراد السفر... لم يكن معه من المال ما يكفي لشراء سيارة... قرر أن يجمعها قطعة قطعة ويُرَكِّبها... استغرق الأمر سنوات، تكلف جهوداً ضخمة... بعد أن انتهى همس أحد أصدقائه في أذنه، مخبراً إياه أن البلدة التي يريدها لا يمكن الذهاب إليها إلا بحراً، حينها صرخ صاحبنا: "وماذا أفعل بالسيارة؟"، فبدأ يفكر.. هل يصحبها معه؟ أم يغير وجهته ويبحث عن بلدة أخرى يمكن الذهاب إليها بالسيارة؟، **لقد ارتبط بسيارته عاطفياً، وأصبح يبحث لها عن أي مبرر للوجود**، إن السيارة التي كان يتوهم أنها وسيلة تنقله صارت هي في ذاتها مشكلة، لقد خلق شيئاً لا يدري ماذا يفعل به، أو سيضطر لفعل شيء آخر به غير الذي أراد - كأن يغير وجهته- للإبقاء على هذه الأداة التي صنعها.

بدأ الرجل يصب كل جهده في البحث عن مبرر وجود السيارة، اتهم صاحبه بالتثبيط، وشكك في صحة الخرائط، **كان استعداده للدفاع عن إنتاجه أكبر من عزمه للوصول إلى أهدافه بأقصر الطرق.**

أحياناً يقود الارتباط العاطفي بتراث أو بشيء صنعته أيدينا إلى العمى العقلي، وهو أمر خطير قد يؤدي إلى التنازل عن الأهداف

مقابل الاحتفاظ بالأشكال، والمؤسسات والمشاريع الجادة تعي ذلك جيداً، فتمتلك الجرأة الكافية لتناقش كل فترة جدوى وجودها، أو استمرار شخصيات بعينها في منصب القيادة، وتحذر من فخ التفكير في كيفية التحايل على الأمر بإبقاء الوضع ثابتاً، مع إضافة بعض التحسينات الشكلية، لأن إنارة السيارة وتركيب إكسسوارات جديدة براقة لا ينفي الحقيقة الكبرى، أن الرحلة تتطلب ركوب البحر، تتطلب قبطاناً وليس سائقاً عادياً، تتطلب شراعاً ومجدافاً وليس سيارة جذابة تسير على أربع، ولا تمتلك ثقافة وإمكانية السير على الماء.

وأحياناً يكون سر تمسك أصحاب المشاريع بالسيارة -رغم التيقن من تحدي البحر- **هو الحيرة في مستقبل القديم وماذا سيفعلون به**، وهل يتركونه كلية، أو يستمرون في مسارهم لأن العمر لم يعد فيه بقية لتجريب الجديد، وفي هذه الحالات تتحول الوسائل التي كان يُعتقد أنها فعالة إلى وسائل مُرْبِكة، وتصبح الأدوات التي كان يؤمل أن تطور الحالة وتتقدم بالمجتمعات هي ذاتها أدوات تقييدها وتراجعها، فبعد أن كان كل التفكير منصباً على كيفية الوصول إلى الهدف؛ صار منصباً على **كيفية الدفاع عن الوسيلة وإيجاد مبررات لوجودها، ووضع خطة لتحسين صورتها**، ثم إقناع الذات والجمهور في النهاية بأن الوجهة نفسها هي الخطأ، فليس بالضرورة الذهاب إلى بلاد ما وراء البحر، لم لا نتجه إلى الصحراء ونستمتع بالسيارة؟؟!!

وإذا أرادت المجتمعات صناعة المستقبل - وليس الاكتفاء بالحديث عنه- فلتفكر جدياً في جدوى ما تنتجه من أطروحات ومشاريع، وإذا

كانـــت مؤمنة بإمكانية تطوير السيارة ذاتها لتعبر بها البحر، فعليها أن تـــضع خطة للتطوير مرتبطة بزمن وموارد، ولا تترك الأمر للزمن في انتظار المعجزة... **معجزة أن يجف البحر**.

بُكره تفرج

الزمن واستفحال المرض

بُكْرَه تُفْرَج

الزمن واستفحال المرض

كـــان يجـــادلني في إمكانية إحداث تحولات في المجتمعات، وأنه ليس في الإمكان أفضل مما كان، ثم ختم بمسلمة تقول: "**الزمن جزء مـــن العلاج**".. لم نتمكن من استكمال الحوار.. كان متترساً بهذه المقولة على اعتبارها مسلمة علي أن أنطلق منها في حواري... انتهى الحوار... ودعني قائلاً: "**بُكْرَه تُفْرَج**".

اشتد عليه ألم الأسنان... اتصل بي ليلاً... ألح علي أن أذهب بـــه إلى الطبـــيب، قلت له: (تمهل... اصبر وسيذهب الألم تدريجياً، وتـــتعافى مع مرور الوقت، ويفر التسوس أمام صمودك الجبار، أليس الزمن جزءاً من العلاج؟؟!! "**بُكْرَه تُفْرَج**").

تـــسود في بعض المجتمعات فكرة أن الزمن جزء من العلاج، وتحـــضرني كلمة أحد المفكرين في نقاش معه: "**وهو كذلك جزء مـــن استفحال المرض**". فربما يحتاج ألم الأسنان إلى عدة جلسات حـــتى يـــتعافى المـــريض. فـــبعد التشخيص الجيد، وتحديد خطة العـــلاج، والتزام المريض ببرنامج العلاج؛ يكون الزمن جزءاً من العـــلاج. بيـــنما إن أُسيء تشخيص المرض، وأخذ المريض الدواء الخطأ، أو أهمل الذهاب إلى الطبيب؛ فبالتأكيد سيستفحل المرض، ويـــصبح الـــزمن جـــزءاً من تدهور الحالة، التي أحياناً لا يمكن تداركها.

يميل البعض إلى التترس بمقولة "**الزمن جزء من العلاج**" ليريح باله من تقييم أعماله، وتطوير أفكاره ومشاريعه، إنه يختصر متطلبات التدافع في الحياة وقوانين التحول الإجتماعي في فكرة أن الزمن كفيل بتغيير الأوضاع، وإحداث التحول. وما درى هؤلاء أنهم يزيدون صعوبة الفعل على من بعدهم، لأنهم يُوَرِّثونهم حالة استفحل فيها المرض وأصابها الشلل، وضعف بصرها، وقلت مناعتها.

إننا في حياتنا الطبيعية لا نقنع – في معظمنا– بهذه الفكرة كمخدر عن الفعل، فعندما يمرض شاب فإنه يبادر إلى أخذ الدواء، وإن وجد أنه لم يتحسن يبدأ في البحث عن دواء آخر، كما يُلزم الأب ابنه في الجامعة أن ينهي دراسته في عدد الساعات والسنوات النموذجي، ولا يقبل منه أن يعتبر الزمن جزءاً من النجاح، فيوزع ما يمكن دراسته في سنة واحدة على ثلاث سنوات، إنه حينها ينعته بالفشل، وحينما نجد مجموعة تنتظر وسيلة مواصلات عامة، ثم تتأخر هذه الوسيلة فإنهم يبدأون في التبرم والتفكير في البدائل، ولا يستسلمون لعنصر الزمن. إن أغلب نماذج الحياة التي نعيشها تسخر من فكرة ترحيل الأخطاء أو التأخر على الزمن. فلماذا عندما نتحدث عن تحول اجتماعي لا نجد هذه المعاني حاضرة بنفس قوتها في أمورنا الشخصية؟؟!! لماذا يصر البعض أحياناً على تجرع الدواء الخطأ مكتفياً بأنه يتناول دواءً.. أي دواء.. ليبرر أنه لم يستسلم للحالة؟؟!!

إن المجتمعات الحية تنتبه إلى عنصر الزمن، متسائلة هل طول الأمد في صالحها أم لا؟!، وهل تتقدم أم تتأخر؟ وهل تأخذ الدواء الفعال، أم أنها تحرق الأزمان وتنهك نضارتها في تجرع دواء ضار؟؟!! فهي تعي أنها إن أهملت البحث عن الدواء الصحيح، ثم العثور عليه،

ثم تناوله، ثم التأكد من فاعليته؛ فإنها ستصيب الأجيال التالية باليأس من إمكانية الشفاء، فالمجتمعات التي يطول عليها الأمد قد تفقد الشعور بإمكانية الفعل، وتألف الأوضاع القائمة، وتتعايش وتتكيف معها، بل وتقاوم من يريد تغييرها.

ليست المشكلة في أن يطول الزمن إذا كانت المؤشرات تدل على تطور وتعافي المجتمعات، إنما المشكلة أن يطول الزمن وتزداد الأوضاع تدهوراً بدعوى العلاج. **لذلك على قيادات التحول في المجتمعات الإجابة على سؤال مهم، هل الزمن جزء من العلاج أم جزء من استفحال المرض؟؟!!**

ما البديل؟؟!!

أوقف العبث أولاً... ثم ابحث عن البديل

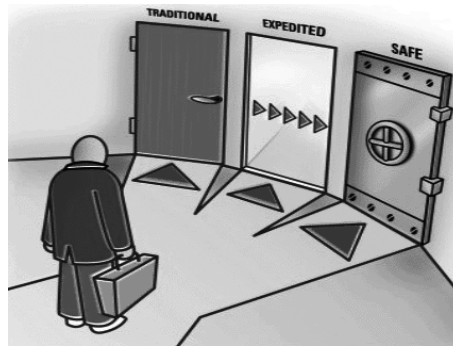

ما البديل؟!

أوقف العبث أولاً... ثم ابحث عن البديل

اشـــتعل المنـــــزل بالنيران... أتت قوات الدفاع المدني لتنقذ الأهـــالي المحاطين بحمم الجحيم... صعد البواسل على السلالم لإنقاذ من في الطابق العاشر، أحاطت ذراع العجوز برقبة أحد رجال الإنقاذ الذي حمله برفق كما يحمل الوالد طفله... وفي منتصف المسافة وعند الطابق الخامس سأله العجوز: "أين ستذهب بي؟؟ ليس لدي غير هذا المـــسكن"، ســـأله رجل الإنقاذ أن يصبر ويحمد الله على نجاته، لكن العجـــوز رفع صوته، "أين ستذهبون بي... ما البديل؟؟".. بعد أن وصلا إلى الأرض أنـــزله رجل الإنقاذ بضيق قائلاً له: "أتيت لأنقذك قبل أن تلتهمك النار.. لست أنا من أَشعلها!!"..

عندما تُحَذِّر أحداً من احتمال فشل مشروعه، أو أنك ترى أنه لا يسير في الطريق السليم لتحقيق أهدافه، يفاجئك أحياناً منتفضاً في وجهك قائلاً: "ما البديل؟" ويصب عليك صواعق غضبه كأنك أنت الـــسبب في تدهـــور مشروعه، أو كأنك مطالب حتماً إن سجلت ملاحظاتك أن ترفق معها الحل.

إن رجـــل الإنقـــاذ لم يأت إلا بعد عدة أعمال، بداية من طفل العمارة المقابلة الذي لمح دخاناً فلم يتمكن إلا من لفت انتباه أبويه- ولـــيس في وسعه أكثر من ذلك، ثم قام الأب بدوره متصلاً بقوات الإطفاء، لكن رجل الإنقاذ هو الذي قام بالإطفاء، و لم يكن ليأتي في

الموعد لولا انتباهة طفل لم يسجل إلا ملاحظته على مشهد عمارة أمامه ظنها أدمنت الدخان. فأهل العمارة يدينون بنجاتهم لهذا الطفل الصغير قليل الحيلة، ثم لكل من تقدم بخطوة على طريق الإنقاذ.

وعندما نتحدث عن إيجاد بديل فيجب أولاً إدارك أن تسجيل الملاحظات هو جزء من الحل، وأن السعي العملي لدراسة الملاحظة وإبداع الحل هو جزء من الحل، وأن تنفيذ الحل هو جزء من الحل، والناس تتفاوت في مهاراتها وقدرات عقولها، وليس بالضرورة أن من سيسجل ملاحظته هو من سيفكر في وجود الحل لدى قوات المطافيء، ولا يمكن عتاب الطفل لكونه اكتفى بتسجيل ملاحظة، فمن الضروري أن يقوم كل فرد بدوره بحسب مهاراته وملكاته وخبراته.

كذلك ليس معقولاً أن يُلام أي شخص ويدان لأنه أشار لموطن الداء ولم يشر إلى الدواء، ترى هل تُخرِج أدوات الجراحة من مطبخك عندما تكتشف في ابنك علامات مرض خطير، أم تذهب به

إلى الطبـــيب المتخصص؟! وهل تشكر الممرضة عندما تخبرك بضرورة عـــرض ابـــنك على طبيب لاستفحال الحالة أم تسألها أن تقوم هي بالمهمـــة وتوفر البديل طالما ارتدت المعطف الأبيض؟؟!! بل هل تتبرم ربـــة المنـــزل منك إن أخبرتها أنك تشم رائحة طعام محروق؟! وهل من المنطق أن تهب في وجهك كأنك المسئول عن خطئها صارخة "ما البديل؟".

إن تـــوفير الـــبديل لـــيس بالضرورة عملية صعبة، فهو يعتمد بالأساس على جدية السائل في البحث عن بديل، متوجهاً بالشكر إلى كل من نبهه، وكيف يعاتب من أراد إنقاذه لأنه لم يطرح بديلاً، في الـــوقت الـــذي لم ينتبه فيه عقله هو للخطر ابتداءً؟؟! فإيجاد البديل مسئوليته هو وليست واجباً على الناصح.

وتوفير البديل يتطلب أولاً إيقاف العبث، فعندما تسير مؤسسة في طـــريق يستنـــزف طاقاتها فأول خطوة لإيجاد البديل هي تنبيهها لـــذلك، حتى ولو لم يمتلك الناصح رؤية كاملة لمستقبل المؤسسة، إن أول خطـــوة هـــي إطفاء النار قبل التفكير في المأوى الجديد، وكبح جـــنون القطار المسرع قبل وصوله إلى الهاوية، ليس السؤال في هذه المـــرحلة أيـــن ســـنذهب بالركاب، ولا يمكن أن نلوم ذلك الرجل البـــسيط الـــذي يـــصرخ بهـــستيرية: "أوقفوا القطار... أنـــزلوا الـــركاب... القطار ذاهب إلى الهاوية"... لنسأله سؤلاً سخيفاً عن الجهـــة التي سيذهبون إليها بعد النـــزول... فالسؤال هو كيف نمنع سقوطهم في الهاوية.

وإن كانت أولى خطوات البحث عن البديل هي إيقاف العبث؛ فـــإن الخطوة الثانية هي التفكير الجاد في التحول لبديل جديد فعال،

وهذا التفكير لن يتم عادة إلا إذا فكر العقل في مناخ صحي بعيداً عن أسر مشروعه الأول الذي سبب له المتاعب، وعبر جهات استشارية محايدة ليست متعصبة للمشروع، جهة لن تعتقل الطفل الصغير في غرفة تتوعده بنظرات الريبة قائلة له: "لقد رأيت الدخان... واكتفيت بالصراخ... إذن قدم البديل... ما الحل؟"، فهي مؤسسات منحازة إلى مستقبل المجتمع وعنصر الإنسان، واستثمار جهده في أعمال نافعة ومسارات واضحة، وحينها لن يعدم الصادقون في البحث بديلاً.

بعض المتعصبين لأفكارهم يسألك "ما البديل؟"، ليس بحثاً عن بديل، ولكن ليؤكد بعناده غياب البديل، ثم يستمر في عمله الروتيني متوهماً أنه بذلك يعاقب من أسدى نصيحة غير مكتملة. أو يوبخه قائلاً: "لا تتحدث إلا إن وجدت البديل"، ثم يفرك يديه مستمتعاً بدفء منزله في الشتاء، وما درى أن سخونة المنزل المنعشة ليست من المدفأة، ولكنها من تسلل ألسنة النيران إلى الحائط عبر نوافذ الغرفة.

الوضع معقد جداً

حدد العقدة... وأبدع الحل

الوضع معقد جداَ

حدد العقدة... وأبدع الحل

بدأ صديقي يشرح لي الصعوبات التي تواجهه وهو يتعلم قيادة السيارات في مدرسة متخصصة، كان عليه أن ينظر إلى المرآة الأمامية ليرى القادمين من الخلف، ولابد أن يعير نظراته بين الحين والآخر للمرايا الجانبية، وأن يحسن تقدير المسافة بين مقدمة سيارته ومؤخرة السيارة التي أمامه، وليت الأمر يتوقف عند هذا الحد، فهناك ناقل السرعات الذي طالما أعجزه وحار في حفظ طريقة استخدامه، ناهيك عن التحكم في عجلة القيادة، أما استخدام الإشارات فأمر غالباً ما ينساه، وكم غافله مؤشر الحرارة والوقود ليكتشف نفسه قاب قوسين أو أدنى من توقف السيارة عن العمل، أما القاصمة فكانت أن يبتلى بشخص ثرثار يجلس بجواره. ضاق صديقي ذرعاً بعد ثلاثة أيام من التعلم، صرخ في معلمه: "مستحيل أن تتركوني أقوم بكل هذا بمفردي... **الوضع معقد جداً**".

أخبرته أن يتريث، ولا يتسرع بقرار ترك مدرسة تعليم قيادة السيارات، وأن ينظر إلى من حوله، فهاهن بنات ونساء يقدن بشكل

عفوي، وها هم شباب دون الثامنة عشرة يحسنون القيادة. فبالتدريب سيكتسب تلقائية القيادة، ويحسن التعامل مع هذا الوضع المعقد.

ربما لم يدرك صديقي **أن القيادة في ظل الأوضاع المعقدة من أهم سمات القادة**، فندب الواقع، واتهامه بالتعقيد أمر ينزع صفة القيادة عن مدعيها، وهل أشرقت إطلالة القادة على الوجود إلا لأنهم يمتلكون رؤية معالجة هذا الواقع المعقد؟! أليست المواقف المعقدة هي التي تستدعي وجود القادة؟؟! وإلا فما جدوى ادعائهم التميز على من حولهم، إن كانوا يصرخون مثل عامة الناس "**الوضع معقد جداً**".

في المؤسسات المتطورة عندما يتقدم شخص ما للقيادة، فإنه يتقدم برؤية، ويستعرض برنامجه الذي سيميزه وسيتمكن به من اختراق تعقيدات الواقع وتفكيكها. فهو يطرح نفسه كقائد لأنه يمتلك رؤية تعبر بالمؤسسة من نفق يحتويها وتنطلق بها إلى فضاء رحب، أما من يجلسون على مقعد القيادة بالخطأ؛ أولئك يهولهم الموقف، ويفاجأون أن قيادة السيارة – في البدايات– لا تحقق المتعة المتوهمة، حيث يستمع السائق إلى الموسيقى الناعمة، متنقلاً بمرونة من حارة إلى أخرى، ومن سرعة إلى سرعة، فهناك الكثير من التدريب الذي يخوضه قائد السيارة البارع قبل أن يصل إلى مرحلة القيادة بتلقائية، والاستمتاع بأداء ما يبدو معقداً.

والقائد البارع لم يتوقف عن ممارسة العمليات المعقدة والمتشابكة، ولكنه ألف التعامل معها كما يألف الطفل السير بعد أن تخذله قدماه مراراً وهو يحاول المشي، إنك إن سألت شاباً كيف تتمكن من السير على اثنين لازدراك!! ترى هل تغير الوضع المعقد أم

أن التعقيد مصطلح متحرك وليس ثابتاً، يتلبس بالأشياء حيناً ثم يهجرها؟؟ هل هو حكم يطلقه العقل على الأشياء أم أنه جزء من طبيعة الأشياء؟! أتراه كائناً حياً له وجود حقيقي، أم أنه خلق من مخلوقات غابة العقل سرعان ما ينقرض إن غير العقل معارفه ومهاراته؟!

إن القعود عن الفعل، أو تبرير القفز في المكان بحجة تعقيد الواقع أشبه بعتاب طالب اللغة الإنجليزية لمعلمه الذي لم يكتب كلمة واحدة بالعربية في الامتحان، ولطالب الكيمياء الذي يطعن في العلم المليء بالمعادلات، ولطالب الرياضيات الذي يندهش من لغة الأرقام، وللممثل المذهول والمتسائل!! أنى له بالتمثيل والجمهور يتتبع كل خطوة له على خشبة المسرح، ولمصارع الثيران الذي نظر إلى الثور الهائج، والجمهور المحتشد، وإلى ملاءته الحمراء ثم صرخ... "**الوضع معقد جداً**". فهل كان الجمهور سيحتشد إلا ليشهد كيف سيصرع البطل مصطلح التعقيد؟! ترى لو كان الثور أليفاً، يأكل من يد صاحبنا، هل سيستحق لقب المصارع البطل؟؟!! وهل كانت الآلاف ستُنفق إلا من أجل نظرة إليه وهو يسفك دم التعقيد ويطأه بقدمه في ثبات؟! "**الوضع معقد جداً**"... **يوم تخرج من فم القائد فإنها تعني رفع الراية البيضاء في وسط المعركة.**

والاعتراف بتعقيد الواقع أمر محمود إن كان المراد منه فهم الواقع للتعاطي معه بوعي، لأنه يُبعد الإنسان عن السذاجة في تفسير ما يدور حوله، وهو كذلك جدير بجعل المرء يفكر بمستوى راق ومنهجية قادرة على قهر هذا التعقيد، وأن يتدرب على تفكيك المعادلات الصعبة، كالطالب الذكي المتمرس الذي يعشق تحدي

المسائل الرياضية المعقدة، فيصيح مختالاً.. "**أنا لها**".. أما المسائل البسيطة فيحيلها إلى البسطاء.

ويتطلب التعاطي مع الواقع المعقد نمطاً متطوراً من التفكير، وهذا لا يعني أن الحل سيكون بالضرورة معقداً، بل قد يكون في قمة السلاسة، فخبراء تفكيك الواقع **يحددون** ابتداءً ما يسمى بعقدة الموقف، أو **عقدة الصراع**، وتعني ما هي العقدة التي إذا تم حلها ستُحَّل بقية العُقد؟ فها هم رواد الفضاء يواجههم تحدي الكتابة في الفضاء، فانعدام الجاذبية أعجز الحبر عن الانسياب من القلم، وبدأت وكالة الفضاء "NASA" دراساتها حول كيفية التعامل مع الوضع المعقد بمحاولة تطوير قلم يكتب في الفضاء، وتكلفت الدراسات ما يزيد على المليون دولار، إلا أن الروس فككوا تعقيد الموقف بحل بسيط، وهو استخدام القلم الرصاص، لأنهم أحسنوا تحديد عقدة الموقف.. فليست العقدة في كيفية إجبار القلم الحبر أن يكتب رغم أنف قانون الجاذبية، لكن العقدة كانت كيف نكتب في الفضاء؟، بغض النظر عن مصير القلم الحبر.[1]

كم من أوضاع معقدة فككتها أدوات بسيطة، لأن التحدي الكبير ليس في توافر الأداة، بل في توافر العقل المشبع بنمط التفكير الثائر على الواقع، المتمرد على الهزيمة، المستعصي على الانبطاح، **فالعقل إن آمن بقدرته على فك التعقيد أبدع أدوات البطولة**، وهل كانت النهضة في الصين التي عانت من احتلال أكثر من دولة لها وغرقت في الفقر والتخلف إلا حجة على بني الإنسان المهزومين؟!

(1) للرجوع إلى تفاصيل اختراع قلم للكتابة يستخدمه رواد الفضاء يمكن زيارة موقع الوكالة الفضائية NASA http://history.nasa.gov/spacepen.html

وحـــرِّر عقلـــك من وهم العقد بنظرة إلى اليابان المتألقة التي دمرتها الحرب وحاولت تشويه نفسية شعب، بل وتأبى الأرض أن تستقر بها فتجـــتاحها الـــزلازل، لكنها في النهاية تقدم نموذجاً لعبقرية الإنسان القادر على فك العقد. إنه قرار يعكس قدرة العقل، إما قرار خطابي هـــارب يحـــيل العجـــز عن التفكير إلى الواقع المعقد، أو قرار علمي جريء..."**ستبدأ عملية التفكيك**".

فليدرك عشاق التحولات الحضارية أن العُقَد غالباً ما كانت حتمـــية الوجـــود في حياة الأمم، وأنها ليست الشبح المخيف؛ بل الـــتحدي المستفز، فيتعرفون عليها جيداً بشكل علمي، ثم يبدأون بتفكـــيك العقـــدة الرئيسة، لتتوالي حركة الدومينو، وتُحَّل العقد صـــاغرة، وتُفتح بوابة المستقبل، وليس بالضرورة أن وسيلة تفكيك الواقـــع المعقـــد ستكون معقدة، المهم ألا يُشَّل العقل وتصيبه هلوثة العقـــد، فيضرب عن عملية التفكير متوهماً أنه أوتي الحكمة قائلاً... "الوضع معقد جداً".

المُنْشَقُّون في الإستاد

انشقوا... ثم علموا الناس
كيف ينشقون عليكم

المُنْشَقُّون في الإستاد

انشقوا... ثم علموا الناس كيف ينشقون عليكم

اكـــتظ الاستاد بالجمهور... لم يعد أمامنا سوى نصف ساعة على بدء المباراة... لا زلنا بالخارج... لا يمكننا الدخول... التذاكر في أيدينا والأبواب مغلقة... الجموع المنتظرة تنظر إلى تذاكرها نظرة بله وحسرة... لا أحد يحرك ساكناً... غافلت ملل الانتظار بنظرات متأملة فيمن حولي... فها هي امرأة حامل لا أدري ما الذي جاء بها هـــنا... وها هو شاب يحمل فوق رأسه سلة ممتلئة بالكتاكيت ربما أراد جـــذب الكاميرات بها... صرخ أحدهم فجأة... لم لا تفتحوا الـــباب؟!... لم يجبه رجل الأمن الطيب الذي لا حيلة له... رأيت صـــاحب الصرخة يشق الصفوف ويتسلق البوابة ويقفز، ففتح الباب من الداخل، حينها انطلقت الأفواج إلى داخل الإستاد مهللة، توعده ضـــابط الأمن وكاد يفتك به، لولا أن الجموع أحاطته كفارس فاتح فَتَوَّجُوه بحمايتهم.

شدني المنظر، وظل شاخصاً أمامي... الباب المفتوح عنوة... الأم الحامل... الكتاكيت... بَدَأَتْ الفكرة تتشكل... تقترب مني وأتطلع إليها... هالتني روعتها وأسرني سحرها، ربما تُشكل المستقبل وتُسارع وتيرة التقدم إن احتضناها وقبلنا شفاهها... إنها كلمة "**الانشقاق**".

فلـــولا الانشقاق لما فُتح الباب، وحركات الانشقاق عن أفكار وسلوك الكثرة لطالما ألهمت هذه المجاميع الحائرة، والأنبياء لم يكونوا

في عرف أقوامهم إلا منشقين، وكثير من الزعماء التاريخين بدوا نشازاً عن معزوفة قومهم، والمعارضة ليست في قاموس الديكتاتوريات إلا مجموعة من المنشقين.

فـ "**الانشقاق**" لا يختلف كثيراً عن "التجمع"، من حيث منطق النظر إليه، فلا يفضل أحدهما الآخر، فهو مصطلح، لا يطلق على مدلوله صواب أو خطأ، لأنه أحد أدوات التطور أو التخلف، فالتجمع ليس محموداً لذاته، فتجمع مجموعة من الأغبياء يدمر المجتمعات، وتجمع مجموعة من النابهين يحييها. كذلك "**الانشقاق**"، **ليس مُداناً لذاته، بل قد يكون نافعاً أحياناً وضاراً في أحيان أخرى.**

إن "**الانشقاق**" ليس مصطلحاً يجب التخلص منه، بل ربما يجب إعادة النظر فيه ودراسته دراسة موضوعية، بعدما ارتبط في عقول الكثيرين بأنه عمل أهل الغدر واللؤم. لذلك نحتاج إلى الاقتراب منه وليس الهروب، إلى التعرف عليه وليس زيادة الجهل به. فهو أمر لا يجب تجنبه على الدوام، بل يكون المخرج أحياناً في تبنيه.

وربما يكون "**الانشقاق**" له دلالات سلبية في وعي البعض لأنه يعبر عن نظرة قائد المؤسسة وليس العامل فيها، ففي مؤسسة الأسرة قد يطرد الأب ابنه، لكنه يتألم إن تركه ابنه، لأنه انشق عن مؤسسة الأسرة، فنال من قيادتها، وفي الشركات قد لا يبالي المدير بطرد مجموعة من العاملين، لكنه يتأذى إن تركوه هم طواعية، لأن ذلك عادة ما يُفسَّر باعتباره خللاً ما، وقائد الحزب السياسي قد يَفْصل بعض أعضائه، لكنه يستميت للحيلولة دون خروج مجموعة نابهة منه –رغماً عنه– حفاظاً على سمعته.

إذن فرافض الانشقاق بالأساس هو الطرف الذي خال نفسه مهيمناً على مقاليد الأمور، فيزرع ثقافة عبثية الانشقاقات، وحرمتها

الأدبية والأخلاقية، ليضمن استقرار مؤسسته، لكنه في الحقيقة لم يدر أنـــه يمتهن مستقبل المجتمعات، حيث تعد الانشقاقات إحدى أدوات تقدمها.

فلقـــد تأمل هيجل في فلسفة تطور الأفكار، فرأى الفكرة كائناً به قصور، لابد وأن يتولد من داخلها أفكار تشير إلى ذلك القصور، هذه الأفكار التي تولدت من القصور ستصارع الفكرة القديمة، وينتج مـــن الصراع فكرة جديدة يُعتقد أنها عالجت القصور الأول، لكنها ستحمل بدورها جنين قصور آخر، وكلما كبر الجنين ضمرت حيوية الفكرة، فولدت فكرة ثالثة وهكذا، وبذلك تتطور البشرية، وتتكاثر الاختراعات، فمن ثنايا عيوب فكرة الهاتف المحمول من الجيل الأول انطلقـــت الأفكار التي تطعن فيه بعد أن ذبل بريق الانبهار، فتولدت الأجيال التي تليها، وبمثل هذا السلوك تتطور المجتمعات.

إن الانـــشقاق ليس مُجَرَّماً في جميع الحالات من كل الأطراف، لم يلـــم أحد من الجماهير صاحب الصرخة الذي انشق عن المجموع ليفتح الباب، لم يلمه إلا حارس البوابة الذي اعتبر الانشقاق اختراقاً لهيبـــته، فهو أداة تضر أحياناً وتنفع أحياناً، كالسكين الذي قد يشق جسد إنسان بغير ذنب، أو يشق لحماً طيباً يرتجى التلذذ بطعمه.

إننا نمارسه ونراه يومياً ولا نشعر بالحرج، فهذه المرأة الحامل لا تحتـــضن إلا مـــشروع انشقاق قادم، تتجلى إرهاصاته بضربات في الـــرحم، وحـــركة مريبة، يليها إعلان الانشقاق، وهو انشقاق مؤلم مـــبهج، مؤلم "للجسم الأساسي" وهو الأم، ومبهج لها لأنه انشقاق مطلـــوب، فليس التوحد العضوي دائماً قوة، فكلما زاد الحمل كلما حانت لحظة الانفصال كحدث طبيعي.

تخـــيلت الأم تتمسك بابنها في بطنها، فرحة بضخامة جسمها، فعادت بي الذكريات للكتاكيت فوق رأس ذلك المشجع، فلولا تمرد الكـــتكوت على البيضة لغاب عن الدنيا ككائن مستقل بذاته، ولما صار مشروع دجاجة تخدم أكلة لحوم الدجاج، ولولا شقه للبيضة في الوقت المناسب لاندمج فيها وذابت شخصيته، وانعدم نفعه، وفسدت البيضة واستعصت على الأكل.

إن مشهد إطلالة الكتكوت على الحياة يعكس حدثين رئيسين: انهيار البيضة وتفتتها، وولادة الكتكوت بخروجه من البيضة. ترى... لِم لا نبالي بانهيار البيضة في هذه المناسبة؟؟ لم لا ننعت هذه الظاهرة بـــ "تفتت البيضة" وانهيارها، لم نطلق عليها "ولادة الكتكوت"؟؟!! لم طغـــت حـــركة الـــولادة – في وعيـــنا- علـــى حركة الانهيار والتفتت؟؟!!

هـــناك فـــرق بين "**الانشقاق**" و"**التفتت**"، لأننا نعني بحركات الانـــشقاق الاجتماعـــية والعلمية تلك الثورة على جوانب القصور وإبـــداع الجديد، أما التفتت فهو هدر الطاقات وتقسيم الكل، ليس وفق استراتيجية للتطور، وإنما لإضعاف هذا الكل، وسحق مصطلح المجموع. إننا يجب أن نميز بين استراتيجية الانشقاق ووبـــال التفتت. والتفتت يحدث في الانشقاق، لكنه لا يشكل الحدث الرئيس، فالحدث الرئيس هو تأسيس شـــركة صـــناعة المحمول

الجديـــدة الأكثـــر تطوراً، ويأتي التفتت كحدث عرضي طبيعي فيتوزع العاملون عادة بين الشركتين. والحدث الرئيس هو خروج الكتكوت من البيضة، ويأتي تفتت البيضة كحدث طبيعي لا يستثير حفيظة الدجاجة، والحـــدث الـــرئيس هو انشقاق الوليد عن الأم، ويأتي التفتت العضوي كخطوة طبيعية.

والمنـــشقون دائمـــاً قلة، كلما حققوا نجاحاً التف الناس حولهم واســـتظلوا بهم، وكلما أخفقوا كلما أحجم المبدعون في الغالب عن محاولة تجاوز المجموع، وإن نجح المنشقون في اختراعهم أو فكرهم أو عملـــهم الجديـــد، قد يصيبهم بعد فترة غرور الكثرة وهالة الأتباع، فيجمدون عن التطوير ويغلقون البوابات، وربما استخدموا نفس الحارس الطـــيب، حينها يتكرر المشهد كحدث طبيعي، فالكتكوت سينقر قشرة البيـــضة، والوليد حتماً سينذر أمه بضربات خفيفة، والكتكوت سيكسر البيـــضة ولا يـــبالي، والوليد لن يتورع عن إيلامها ولن يبالي بصراخها، مـــدركاً عظم لحظة المخاض، مستحضراً مشهد الجماهير المتطلعة، ليقفز من فوق بوابة الاندماج، متحرراً بشخصيته الجديدة.

إن "**الانـــشقاق**" أداة من أدوات تطور المجتمعات وتقدم الأمم، فـــبعض الحـــضارات الكبرى مدت حركة الانشقاقات في أعمارها الافتراضية من خلال قيام دول الأطراف – التي أعلنت استقلالها عن القلـــب– بالدور الريادي، وإلا لمات المشروع أو قصر عمره بسبب ضعف القلب أو توقفه[1]، وكثير من النظريات العلمية والاختراعات

(1) كانت دول الأطراف المنشقة عن المركز أحياناً تمثل امتداد الحضارات، حتى إنْ ضعف قلب الدولة، فحضارة الأمويين في الأندلس لم تكن إلا حركة انشقاق عن القلب العباسي، فمدت من عمر ورصيد الحضارة.

العظمى تولدت بفعل الثورة الفكرية والشركات المنشقة المغامرة. لذلك وجب الاقتراب من فهم فلسفة "**الانشقاق**" ودوره كأداة في إحداث التقدم، وأن يصبح أداة مألوفة مثلها مثل أداة "**التجمع**"، فالتجمع مطلوب والانشقاق مطلوب، وأحياناً يكون الـ "**تجمع**" خيانة للضمير وللمجتمع وللإنسانية، حين يجب على المرء أن يضيف لمجتمعه الجديد، وأن يشق طريق الجمود محاولاً فتح الباب، حينها يكون "**الانشقاق**" عملاً عبقرياً خالداً، فأكرم بالعلماء المنشقين القائلين بكروية الأرض في زمن كان ينكر الدوائر ولا يرى إلا أجساماً مسطحة، وتحية إجلال لعظماء التاريخ الذين أسسوا حضارتهم بملحمة الانشقاق على الجموع المستكينة، إن المستقبل عادة ما صاغته انتفاضة المغامرين المنشقين.

لذلك من المهم تعليم الجيل **أن بداية ظهورنا للحياة كان حركة انشقاق عن الرحم بامتياز**، فلا يتهيب من مصطلح "**الانشقاق**"، لأنه قد يكون سبيل التطور، ثم تدريبه على طريقة إدارته. ولا بأس من إعادة تسمية المصطلح باسم جديد إن كانت الذاكرة التاريخية للمصطلح مؤلمة للبعض، وليكن "**نقرة الكتكوت**".

ربما تتشكل بعض ملامح المستقبل من الانشقاق البناء، لكن على المنشقين أن يُعلِّموا أتباعهم كيف ينشقون بدورهم عليهم -إن لزم الأمر، وألا يتحنطوا معهم داخل البيضة، فمن كان بالأمس فارس الانشقاق، سيصبح غداً سبب انشقاق الآخرين عليه، وليس منع ذلك من الحكمة في شيء، بل أشبه بالعبث، فخدمة المجتمعات أولى من خدمة ذواتنا، وحيويتها أولى من عبادتها الأصنام، حتى ولو كنا نحن الصنم..

ملك الفول

التغيير يبدأ من الخارج

ملك الفوول

التغيير يبدأ من الخارج

كـــنت أراه يومياً يرش المياه أمام المحل، ويبيع الفول الشهي في دكانـــه المتواضع "ملك الفول"... وكان "**عم درويش**" بالفعل هو ملك الفول.. فلم يكن في المنطقة سواه، كان الإقبال عليه كبيراً رغم إهماله لمظهر الدكان ونوعية وطريقة تقديم الخدمة، كان يعد الرغيف ثم يعطي للمشتري كيساً ليضع بنفسه الرغيف في الكيس، و لم لا... أليس هو ملك الفول؟!!

كثيراً ما حدثته ونصحته أن يطور من مظهر الدكان لينال لقب "مطعـــم"، ويهتم بخدمة الزبائن، فكان يردد: "هذا الأمر يتطلب مالاً وفـــيراً، كما أن الدكان يعمل منذ سنوات والإقبال يزداد، ومع ذلك ســـنطور قريباً.. إن شاء الله.. إن شاء الله.. ضع كل مقترحاتك في صندوق الشكاوى!!"

مـــرت سنوات وملك الفول يتعالى على رعيته، واضعاً صندوق الشكاوى فوق سلة المهملات. ظل الوضع كذلك إلى أن ظهر مطعم فـــول فخـــم يجاوره، يقدم أرقى الخدمات. فر الجمهور إلى المطعم الجديـــد... جُن جنون ملك الفول... فهو تاريخياً أقدم في المكان، وأدرى بالـــزبائن، حيـــنها كان لابد أن يبدأ رحلة التحول، فأسس أفخر الأثاث، ووحَّد ثياب العاملين، سألته أن يقتصد في المصاريف، فأخـــبرني أنـــه سيطور نوعية مأكولاته لتشمل كل أنواع الوجبات

السريعة، أعاد تسمية المطعم، فغيره من "ملك الفول" إلى "صباح الفل".

وباستقراء الكثير من التجارب نجد **أن تقديم العرائض وكتابة المقترحات ليس بالضرورة أفضل وسيلة لإصلاح المؤسسات وتغيير مسارها**، خاصة إن كانت المقترحات مكلفة، أو تتطلب تغييراً جذرياً في الأفكار أو القيادة أو الاستراتيجية أو الوسائل.. الخ، حينها ما أسهل استيعاب المقترحات تحت بند... "إن شاء الله"... فتبرز الحاجة لوسيلة أكثر فاعلية من النصح والنقد..

ومن أقوى هذه الوسائل خلق تحديات خارجية للمؤسسة، قد تتمثل في أطروحات فكرية جريئة تتفوق على أطروحاتها، فلا تجد المؤسسات نفسها إلا أمام مواكبة ثورة الفكر، فتردد نفس المصطلحات، وتدعو للجديد – إن لم يكن بهدف التطوير الحقيقي فسيكون في الحد الأدنى بهدف إثبات مواكبة العصر.

وقد تتجلى التحديات أيضاً في ظهور مؤسسات ومشاريع بديلة قوية وبراقة تدخل ساحة المنافسة، فعندما تجد المؤسسات منافساً قوياً لها لن تقف مكتوفة الأيدي، لأن غريزة البقاء والتشبث بالحياة تدعوها إلى التفوق على منافسيها، وربما دارت عجلة التطوير بسرعة أكبر مما كان يتخيل الناصحون من داخل المؤسسة، فنجد كل

الصعوبات ذُللت من أجل التطوير، وجميع مبررات استبقاء الوضع الراهن تحطمت بيد القيادة ذاتها. فمن أين أتى "عم درويش" بالمال ليطور دكانه، وكيف تغيرت قناعاته فجأة عن احتياجات الجمهور؟؟!!

إن التحديات الخارجية تطوي المسافة نحو المستقبل، فلم أجن من وراء حديثي مع "عم درويش" ونصحي له إلا كلمة "إن شاء الله".. وبالفعل شاء الله أن يأتي تحدي المطعم الخارجي، ليختزل سنوات الإصلاح، ويضطر صاحب الدكان اضطراراً إلى أن يتحول من "ملك الفول" إلى "صباح الفل".

إن أي تحد تعقبه استجابة، وأقصر الطرق لإحداث تغييرات جوهرية في المجتمعات هي من هندسة التحديات الخارجية، سواء كانت من صنع الظروف، أو من فعل متعمد. فصناعة التحديات تخلق مجتمعاً أقوى، فتطارد النمطية والسكون وتدفع للإبداع والحركة، ويستعر التنافس من أجل تقديم أفضل الخدمات والأطروحات والمشاريع، فيجد الجمهور أمامه بدائل شتى، ويستمر المنافس الأقوى والأقدر على إجابة أسئلة الواقع، نلحظ ذلك على مستوى الدول حين تغار دولة من دولة أخرى فتية ناشئة فتحشد طاقاتها في مشروع منافس، وعلى مستوى الأحزاب السياسية المتكلسة حين تفاجأ بطرح جديد شاب فتضطر إلى تطوير أفكارها واستراتيجياتها، وقل ذلك بالنسبة للمؤسسات والأفراد.

فخلق التحدي الخارجي يعني إضافة مؤسسات جديدة للمجتمع، ويعني تحفيز المؤسسات القديمة للتطوير، ويعني توفير أفضل

البدائل للجمهور. ربما تتضرر بعض المؤسسات الكسولة من هذه التحديات لكن المجتمع يستفيد.

وعلى الشباب المفكر الجريء أن يجيد **فن صناعة التحديات الخارجية لتشكيل المستقبل**، حتى يشرق صباح المجتمعات على أنغام شلالات المبادرات الجريئة، التي تضيف إلى المجتمعات روحاً جديدة، وتستنفر في الوقت ذاته الآخرين لينتفضوا ويعجلوا بتطوير أطروحاتهم ومشاريعهم.

إنه لخطر عظيم يهدد المجتمعات أن تتوقف مبادرات التحدي فيها، فيتباطأ إيقاع نمو المؤسسات، ويصبح اللحن مملاً يدعو للنوم، فمبادرات التحدي هي صرخة البعث من قبور النمطية والخوف.

إنها نصيحة لكل من أشفق على مؤسسته وأراد تطويرها تطويراً جذرياً... دعك من صندوق الشكاوى الذي لا يُفتح إلا كل عشر سنوات أو ربما ضاع مفتاحه، واصنع التحدي الخارجي، فهو كفيل بتشكيل لجنة طارئة – خلال ساعة – لإدارة الأزمات...

يُخشى بعد انعقاد اللجنة أن تتخذ قرارها التاريخي بتحذير الجماهير من المطعم الجديد بدلاً من أن تطور نفسها، حينها لا أملك إلا أن أقول... صباح الفل يا ملك الفول..

الصرصور البريء

استراتيجية البقاء بوابة الفناء

الصرصور البريء

استراتيجية البقاء بوابة الفناء

لم يـــدر بخلـــدي وأنـــا أطالع كتبي أن يأتي ليقطع علي تدفق أفكاري... أو يفسد فرحتي بإرهاصات قدوم الشتاء في ذلك النسيم الرائع... لم أدرك أن فتح النوافذ قد يأتي بغير النسيم... بضيف غير مرغوب ربما... وقد كان... فقد اقتحم الصرصور علي خلوتي... ربما لم يكن يوماً ممتعاً بالنسبة لي... لكنني أجزم أنه كان يوماً كارثياً عليه...!!

كـــان مفـــتوناً بشاربيه الطويلين... لم يدر أن فيهما مقتله... متباهـــياً بـــزيه الـــبني المصقول... الذي كان سبب محنته...

بدأت أطارده... بحثت عن شيء أدكه به قبل أن يهرب... تطوع حذائي للقيام بالمهمة، وقـــف الـــصرصور ينظـــر إلي نظرة بلهاء، محركاً شاربيه كأصابع فنان تعزف على "الأورج"، استفزني لحنه فأمسكت بالحذاء لأهوي عليه.

تأملـــته وهو يلفظ أنفاسه، أو ربما يختم معزوفة الموت... لعله الآن يتساءل عن هذا العملاق الأحمق، الذي يعيش في مسكن كبير،

يأكل أفضل الطعام، ويحرمني تصريح المرور، فضلاً عن تناول الفتات. ولعله رماني بالجنون... فكيف يترك إنسان كتبه ليجري وراء كائن ضعيف في همجية منقطعة النظير. ولعل الفاجعة لديه كانت حين رآني -وهو في الرمق الأخير- أحضر معدات الحرب، حاملاً المبيد الحشري بحماس بالغ، معلناً التطهير العرقي ودك خنادق ومنافذ تسلل كل من ينتمي لجنسه.

إن هذا الصرصور يعاني من أزمة إدراك، فكل ما دار بعقله كان منطقياً، لكنه عجز عن فهم طريقة تفكير الجنس البشري، وكيف ينظر إليه باعتباره عدواً واجب الاستئصال، ربما تساءل لم لا نتحاور أو نصل إلى حل وسط؟؟!! وهذه أزمة إدارك أخرى فلن يتحاور الإنسان مع الصرصور طالما اعتبره صرصوراً، وطالما ظلت الذاكرة التاريخية للإنسان عن الصرصور مشبعة بأنه عدو مبين. وربما عانيت أنا من أزمة إدراك... لم لا يكون مختلفاً عن غيره ناقماً على أجداده؟؟!!، ربما لم يأت ليفسد في المكان... لكن كيف لي أن أعرف إن كان هذا الجنس تغير وتطور؟!!

إن الصراع بين الإنسان والصرصور ممتد منذ ملايين السنين، وكان أمام الصرصور تاريخياً عدة خيارات منها:

أن يبتعد نهائياً عن عالم الإنسان ويعلم أنه لا قِبل له به.

أما إن كان بالفعل تغير ويريد إثبات حسن النوايا وأنه صرصور بريء، **فليغير لونه المثير ونمط تحركه** المتسلل، ويتوج ذلك بتغيير اسمه فيتحول إلى كائن جديد سيبدأ الإنسان باستكشافه والتعرف عليه، فيتخلص من الذاكرة التاريخية، وربما اكتشف خطأ أجداده بالاعتداء على مملكة الإنسان، وأنهم هم سر معاناته بما ورثه من عداء للإنسان،

ولينظر إلى أقرانه من الحيوانات كالقطط والعصافير التي يتلذذ الإنسان بإطعامها.

أما إن كان مصراً على سلوكه ويرى فيه حقاً له:

فليغير موازين القوى لصالحه، فيتضاعف حجمه ليصبح شاربه كذراع الأخطبوط قادراً على التمكن من الإنسان والفتك به.

أو يتحالف مع كائن يخيف الإنسان، فإذا اعتدى الإنسان على الصرصور سيتدخل الأسد بوثبته القاتلة.

وقبل ذلك كله على الصرصور أن يفهم الإنسان جيداً، ويدرك دوافعه الحقيقية لمطاردته، وشكوكه منه، فربما تفهم موقف الإنسان فابتعد عنه، أو قاومه، أو استسلم للموت بين يديه.

في تصوري أنه إن لم يحدث ذلك سيظل الصرصور يصرخ بالبراءة، ودموية الجنس البشري، منادياً بحوار غير متكافيء، وسيظل الإنسان في ممارسة التطهير العرقي باعتبار الصرصور خطراً على الإنسانية، يشوه وجهها الحضاري.

لقـــد اختار الصرصور استراتيجية التكاثر الكمي للبقاء، فأنثى الـــصرصور تـــضع مئات الآلاف أو ملايين البويضات، لذلك فقد استعصى الجنس الصرصوري على الإبادة منذ قديم الزمان.

نعـــم... لقـــد اتخـــذ استراتيجية التكاثر الكمي للبقاء، وهي اســـتراتيجية قادرة على حفظ النوع، لكنها لا تضمن لهذا النوع أن يـــنال التقديـــر، أو يثـــبت مشروعه، وينجز برنامجه، ويتسلم ريادة الكون، إنها استراتيجية تضمن أن يجد الإنسان مبرراً ليختبر رشاقته، ويجدد نشاطه، ويترك كتبه، ويمتشق نعله.

عـــندما يـــصل بك عقلك إلى تبني استراتيجية البقاء ملايين السنين، فاعلم أنك تملكت عرش الفَناء باقتدار.

مـــن الـــسهل أن تكون... والتحدي ألا تكون هدفاً يُصَوَّب علـــيه... مطلـــوب أن تبقى... والتحدي ألا تبقى جاهلاً بخصمك مكتفياً بالتنديد بوحشيته عبر ملايين السنين... جميل أن تتحاور... والـــتحدي أن يكون لك وزن يجبر من أمامك على محاورتك.. **رائع أن تختار... والتحدي ألا تختار أن تكون صرصوراً بريئاً!!**

ما بال قطتي تضاجعها الفئران؟؟!!

تركيب أنياب ومخالب للمجتمعات

ما بال قطتي تضاجعها الفئران؟؟!!

تركيب أنياب ومخالب للمجتمعات

مـــا أروعهـــا... تأسرني بمشيتها، واتغزل في عينيها الواسعتين... أما شاربها... فيعيبها، إذ يخدش أنوثتها...

رأيت الهرة تكبر وتكـــبر أمام عيني على مـــــدار الـــــشهور والأعـــوام... فقـــد اقتنيـــتها فور فطامها. وفي ذات يـــوم إذا بي أسمع صوتاً غريباً... لم أعره اهتماماً... وفي يوم آخر هز مسامعي ســقوط آنـــية في المطبخ.. انتفضت خائفاً، أبحث عن الفاعل... لمحـــته كعادتـــه يفر هارباً... أسرعت بالخروج من المطبخ مغلقاً الـــباب خلفي... توجهت مبتسماً إلى حبيبتي... همست في أذنها أن حـــان دورك يـــا فتاتي... لقني الفأر درساً عن حرمة اختراق البيوت..

أدخلـــتها بسرعة... أغلقت عليهما الباب.. وانتظرت... ثم

انتظـــرت... ثم خـــرج الفأر منتشياً من تحت الباب حاملاً في فمه خصلة من شعر ذيل قطتي..

تعجـــبت!!... لماذا إذن تُرصِّع يدها بالأظفار؟؟!! وما جدوى المخالـــب إن لم تقم بدورها في مثل هذه اللحظات؟؟!!... ما قيمة التـــنديد والشجب وإقرار الحقائق؟؟!!... أليس "القط يأكل الفأر" شـــعاراً تَـــباهَت به القطط على مدار قرون؟؟!!... لم قعدت عن ممارســـة ذلك عملياً الآن؟؟!!... ما معنى الحياة حينما تحفل بفئران يـــزداد طغـــيانها، وقطط تصفع أحلامنا بقصيدة مكسورة الوزن عن القوة والعزة والحق؟؟!

بـــدأت أفـــتش وأسأل... ما بال قططنا لا تأكل الفئران؟؟!! فعلمـــت أن تلك القطط التي تُباع وتُشترى، تلك التي فقدت حريتها واقـــتُلعت مـــن البراري، تم استئناسها، فلم تدربها أمها على اصطياد الفئـــران ثم قتلها وأكلها. فالقط الصغير في البراري إن لم يعض الفأر صغيراً، فلن يعضه عندما يكبر.

والمجـــتمعات تـــصبح مـــرتعاً للفئران عندما تنتزع منها روح المقاومة، عندما يلقن الشيخ ابنه وهم إمكانية استسلام الفأر له دون نـــضال، عـــندما تلون القطط مخالبها بأدوات التجميل، بدلاً من أن تـــزينها بدماء الفئران. عندها... وفي كل مرة... سنرى الفأر يسير متعجرفاً وفي فمه خصلة شعر من ذيل القطة المستأنسة.

لم يعـــد كبير الفئران يخشى على مملكته من القطط، فهناك من يـــصطاد القطـــط "**الضالة**" من الشوارع، فإما أن ينجح في جعلها مستأنسة، أو يقتلها. بل لم يعد هناك مبرر للتنقيب عن القطط الضالة في الشوارع، فهذا يزيد الكراهية ضد الفئران، لقد رأى كبير الفئران

أن القطـــط "**الراشدة**" ستقوم بالمهمة على خير وجه، وستتشكل أجهزة داخلـــية في مجـــتمع القطط، تقمع أية محاولة للتمرد، أو تهدد الجنس "الفأري". لم تعد القطط اليوم تشكل مصدر إزعاج للفئران، فالكثير منها توارث السكون، وألفه، ورَوَّج له في أوساط القطط. صار تقليم الأظافـــر موضة، وخفض صوت المواء أدباً، والرشاقة والخفة طعناً في جمـــال الهرة، وتم تربية صغار القطط المتحمسين على أن ذِكْر "**الفأر**" بسوء في اجتماعات القطط تحت الكراسي في المقاهي سيجر الويلات على مجتمع القطط، أما اسم "**قطة**" أو "**بِس**" فهو لا ينسجم مع روح العصر، فلنسمها "**ريري**"، أما الجرس المعلق على صدرها، فهو هدية كـــبير الفئران، التي سال لها لعاب القطط. وها هي "**ريري**" حارسة البيت.. تتوجه بحماس إلى المطبخ على أنغام قرع الأجراس... تهتف "**نمـــوت نموت ويحيا البيت**". فلا تتعجب إن سمعت الفأر -يتراقص حاجباه- منشداً: "**هات لنا ريري.. هات لنا ريري**"..

ربمـــا تذرعت قطتي بفكرة التعايش، فالفأر يمكن أن يتعايش مع القطـــة، لِمَ لا تريح جسدها بدلاً من الجري وراء الفأر؟؟!! لكنها لم تفكـــر في مـــصلحة المنـــزل ككل، إن كان من الممكن أن يتعايش القط مع الفأر فمن المستفيد؟؟ حتماً سيُكَرِّس القط الفساد في البيت، تاركـــاً الفـــأر يعبث بكل مُقَدَّراته. حينها يعجزني تفهم **أيهما أشد عداوة لي... القط المتواطيء أم الفأر المفسد؟؟!!**

إن تطـــور المجتمعات مرهون بدرجة كبيرة بالتغيير داخل مجتمع القطـــط نفـــسه، واهتـــام الفئران باللؤم والسرعة والدناءة لم يقل به الأقدمـــون مـــن القطط، لأنهم كانوا مؤهلين لمجابهة ترسانة أسلحة الفئـــران، لـــذلك يبدأ التغيير بإعادة نظر القطط لرسالتها في الحياة، ومـــوقفها الحقيقي من الفئران، ونسف خرافة أن يرضخ القط لفأر، وإحـــياء الـــنفس الثوري، وتعليم القطط الصغيرة الكف عن الهزل واللعـــب مـــع الفئران، وحثها على رعاية أنيابها وأظافرها، لتضطلع بمهامها التاريخية التي برع فيها أجدادها.

إن مجـــتمعات لا تملـــك أنياباً ومخالب فعالة لن تكون إلا مرتعاً للفئران، وهذا لا يعني تأسيس مجتمعات الفوضى والكراهية، فالقطط المحتـــرفة لا تلـــوث أنيابها أو مخالبها بالدماء؛ ولا تسعى للدخول مع الفئـــران في معركة مباشرة؛ بل تبرع في ردعها عن التفكير ابتداء في الاقتراب من البيت، فتستعرض طول مخالبها، وتبرز لمعان أنيابها، إنها تتجـــنب تشويه البيت بمعارك دموية، لكنها في نفس الوقت تعلن أنها ليـــست خادمـــاً لاستقرار مملكة الفئران؛ نافية عن نفسها أنها وسيلة للتـــرفيه عنها، ومؤكدة أنها إن لزم الأمر ستستعيد دورها التاريخي.. مُصَرِّحَة بإيمانها بالتهام اللحم الحي، وكفرها بأكل المُعَلَّبات التي تقدم إلى القطط المستأنسة.

انبطحوا أرضاً

إنحناء أم مواجهة؟؟!!

انبطحوا أرضاً

إنحناء أم مواجهة؟؟!!

"**انـــبطحوا أرضـــاً**"... انطلقت بقوة من فم القائد في أرض المعـــركة... امـــتلأت الـــساحة بأصوات القنابل... صرخ القائد: "**هجـــووووم**"... انـــتفض الجـــنود بعـــد انـــبطاح ليكملوا عملية الاقـــتحام... تـــوقفتُ عن المشاهدة عبر شاشات التلفزة في المركز التجاري مستكملاً التسوق... صعدت إلى الطابق الثامن... أطللت من النوافذ... فإذا بأعمدة النور قد استجابت لنداء القائد!!

إننا نرى الإنحناء كثيراً- بل ونمارسه- في حياتنا، نراه في انحناء عمـــود الـــنور لإنارة الطريق مُرَحِّباً بنا، وفي انحناء العامل بمعوله في بطـــولة نشهد بها كخطوة مرحلية يليها إعلان المواجهة والانتصاب رافعـــاً يـــده، ثم الإنحناء مرة أخرى هاوياً على الصخر. لقد اختار مواجهة الصخور بإستراتيجية تزواج بين الإنحناء والانتصاب.

نلحـــظ نفس الأمر في أبطال العناد في رياضة الملاكمة، الذين ينحـــنون بأجـــسادهم في رشاقة لتلافي الضربات، لكن الصورة لا تتوقف عند مشهد الإنحناء؛ بل يعلو الرأس مرة أخرى في عزة مسدداً ضربته، هاتفاً بأن الإنحناء أداة لمواجهة التحدي.

والمجـــتمعات التي تتهيب التحدي لن يكتب لها تطور ولن يُخَلَّد لهـــا ذكـــر، والسؤال هو كيف تتحدى في ظل ظروف ضاغطة؟؟ وكيف تعلن المواجهة حيث لا يُراد لها ذلك من خصومها؟؟!!

إن المـــواجهة تعـــني التـــصدي للواقع بالحفاظ على الأهداف ووضـــعها على منصة التطبيق، وفق إستراتيجية فعالة، سواءً اعتمدت المواجهة المباشرة للواقع أم الاختراق الناعم له.

فللمواجهة أدوات كثيرة، وقد يكون الإنحناء أحياناً من أدواتها المرحلية. فهو أداة فعالة إن استخدمت وفق استراتيجية محددة، تجيب علـــى ســـؤال: كيف سيؤدي الإنحناء إلى تحسين الأحوال؟ وكيف سيحسن به الانتقال من مرحلة إلى أخرى؟

إن الإنحناء أو المواجهة المباشرة أو الحلول الوسط بينهما ليست في ذاتها حلولاً سحرية كفيلة بتحقيق الأحلام، فالحل يكمن في وضع إستراتيجية قادرة على التعامل مع الواقع، واختراقه مرحلة تلو مرحلة، حيـــنها فقط يمكن اختيار الإنحناء كأداة، أو المواجهة المباشرة كأداة، أو الـــدمج بيـــنهما بدرجة من الدرجات، أو اختيار التعاقب بينهما بشكل أو بآخر.

ليـــست القـــضية هل ستواجه مباشرة أم ستنحني؟؟!! السؤال الأســـاس هـــو ماذا بعد المواجهة المباشرة؟ وماذا بعد الإنحناء؟؟ ما الخطوة اللاحقة التي ستحقق من خلالها أهدافك؟؟

يـــندد البعض بأولئك الذين يعلنون المواجهة المباشرة، وينعتونهم بالعبثـــية، ثم يطـــرحون الحل العبقري داعين إلى الإنحناء أمام الواقع كحـــل وحيد، وقد اختاروا إجابة تريح عقولهم من عناء التفكير في إبداع حل جاد.

وقـــل ذلك عن آخرين يدعون إلى الانتصاب في كل الأحوال، ومـــا دروا أن العاقبة قد تكون كارثية، وانظر إن شئت إلى الملاكم تعيس الحظ مفتول العضلات، وهو يتلقى الضربة القاضية وقد أعلن

الصعود واضعاً رأسه في المكان الخطأ.. في قفاز خصمه!!. إن الإنحناء أمام الواقع أحياناً لا يقل عبثية عن تحديه بشكل مباشر، فكلاهما حل عدمي إن لم يتم في ضوء استراتيجية واضحة.

وتتجلـــى العبقرية القيادية في عشق مواجهة التحدي، ثم إيجاد التـــصور الناضـــج للعلاقة بين الانحناء والانتصاب، واختيار التوقيت الذي يهيمن فيه أحدهما على ساحة الفعل.

بعض القادة لا يجيدون إدارة الهجوم والانبطاح، فلا يروقهم أمر "هجـــوووم".. إنهـــم يهـــتفون "انبطحوا أرضاً"... فينبطح الجنود طـــائعين، ثم ينقلبون نائمين، بعد أن أمدهم القيادة بالوسائد الناعمة والمشروبات الباردة..

ونـــرى قـــادة آخرين بارعين في خلق التناغم بين إصدار أمر "**هجـــووم**" وأمر "**انبطحوا**"... فعيونهم مركزة على الهدف، تبصر الطـــريق وعقـــباته، ولا يوقفهم حاجز عن مهمتهم، فتارة يقفزون الحواجـــز، وتـــارة ينحنون ليعبروا من تحتها، هوايتهم هي المواجهة،

بالانحـــناء أحياناً والانتصاب أحياناً أخرى في ظل رؤية واضحة، إنها قـــيادة تستلهم خطة أحمد مطر... **فهي تبالغ في الانحناء... ولكن لكي تزرع القنبلة**[1].

(1) يقول الشاعر أحمد مطر:
أجل إنني أنحني تحت سيف العناء،
ولكن صمتي هو الجلجلة،
وذل انحنائي هو الكبرياء،
لأني ابالغ في الإنحناء،
لكي أزرع القنبلة!

رصيدك انتهى

قل لي من ستكلم، أقل لك كم ستدفع

رصيدك انتهى

قل لي من ستكلم، أقل لك كم ستدفع

– ما رأيك أن نذهب إلى زيارة الأيتام في جمعية...؟

– متى نلتقي؟؟

كانت هذه هي آخر جملة قلتها لزميلي وأنا أكلمه على الهاتف "الجوال"... لقد نفد رصيدي..

بـــدأت أنظر إلى الهاتف الأنيق، أرجوه أن يمنحني فرصة أخيرة، ويـــأذن لي بالمكالمة، انتظرت مبادرة من صديقي ليكلمني هو، لكن خاب ظني.

سألت والدي أن يحول بعضاً من رصيده إليّ، لكنه أبى، متعللاً بأن رصيده أوشك على النفاد!!

تساءلت في نفسي.. نحـــن لم نقل إلا خيراً... وكـــنا نرتب للقيام بعمل خـــير، لماذا يا ربي ينقطع الخط الآن؟؟!! ولماذا تعبث شـــــركة الاتـــــصالات هكذ؟؟!!

لا... لم تظلمني الشركة، فقد نبهتني قبل نفاد الرصيد بفترة كـــي أعـــيد تعبئته، ولديها نظام محكم بدرجة كبيرة، فلن أنتظر معجـــزة لأجـــري اتـــصالاً هاتفـــياً رغماً عنها. وقوانين الفعل الاجتماعي لا تنحاز إلى أحد، حتى ولو كان يجري مكالمة مشبعة بالخير، لأنها قوانين لا تعطي تصريح المرور عبر بوابة الواقع إلا بعد أن تـــتأكد مـــن امتلاكك إجابة على السؤال التالي: "**هل لديك رصيد؟؟**"

تعجـــبت مـــن أولئك الذين يريدون التفاف الجماهير حولهم والتواصـــل معهـــم، لكنهم لا يملكون رصيداً من "رنَّات" الخبرة أو "رســـائل نـــصية" تحمـــل الخطـــاب الجذاب، أو يجيدون استخدام "البلوتوث" كأحد أدوات الفعل التي تمكنهم من التواصل، وتعجبت أيـــضاً من أولئك الذين يستخدمون البطاقة المدفوعة مسبقاً بمبلغ 30، ويـــريدون أن تـــستمر المكالمـــة بتكلفة الـــ 50 رغماً عن الجميع، وحجـــتهم في ذلك أنهم لا يقولون إلا خيراً؟؟ فلماذا توصد الأبواب في وجـــوههم؟؟!! ولماذا يمسك الأشرار بمقاليد اتصالات العالم، رغم أن ألسنتهم لا تنطق إلا دماراً؟؟!!

إن مـــن يملـــك الرصيد الكافي سيتكلم كـــيفما شاء، حتى ولو كان يتحدث فيما يضر مجـــتمعه، ومن لا يمتلك الرصيد الكافي ستُقطع مكالمته ولو كان أكثر البارين بمجتمعاتهم.

مـــن يملك الرصيد الكافي سيتكلم بأريحية ولن يتكبد عناء النظر في ساعته، أما من لا يملك رصيداً كافياً فسينشغل بوهم إمكانية عرقلة عَدْو عقارب الساعة بأية طريقة، فضلاً عن إرباك حليفه على الجهة الأخرى، قائلاً له بصوت مرتعش: "تكلم بسرعة... المكالمة ستنتهي"!!

لـــن تجـــني المجـــتمعات حصاداً خيالياً يفوق رصيدها لمجرد امـــتلاكها أهدافاً نبيلة وسامية، ولن تتمكن من إجراء مكالمة طويلة يـــصغي لهـــا العالم **إلا لو امتلكت رصيداً يمكنها من ذلك**. وكلما كبر الحلم، وبعدت مسافة الاتصالات، كلما عظمت التكلفة. فتكلفة الاتصال المحلي، ستختلف عن الإقليمي، وكلاهما يختلف عن العالمي. فإن حدد المجتمع مع من سيتواصل... يمكن أن يحدد التكلفة... وإن لم يكن مستعداً لدفع التكلفة، فسيظل حلمه أسير عقله...

أُحَذِّر من يصوغ حلمه على اعتبار أن حلفاءه سيتصلون به إن انقطع الاتصال من جهته، وأدعوهم ألا يعتمدوا إلا على أرصدتهم... فحـــتى الآن لـــست أدري.. لمـــاذا لم يكلمني صديقي بعد انقطاع الاتصال؟؟!!

ما أروع أن تحلم بالتواصل مع أبعد قارات العالم، لكن الأروع أن تـــسعى بجدية لشحن رصيدك لتحول الحلم إلى واقع، وأن تكون قـــادراً على دفع التكلفة، وإتمام المكالمة. وقد تبدأ محاولتك لاختراق الواقع بالتدريج، فتكتفي في مرحلة ب "الرنات" تاركاً خيار الاتصال للطـــرف الآخـــر، وفي مـــرحلة لاحقة يتكون لديك رصيد معقول لإرســـال "رســـالة نصية"، فتتحرك في ضوء الممكن، ساعياً إلى ضم المكالمـــة الـــصوتية الدولية – مع زيادة الرصيد– إلى نادي الممكنات الذي أسسته، والذي تملك تكلفة إدارته.

هـــناك صـــنف غير مستعد لدفع التكلفة ابتداء، ويرى أن على شركة الاتصالات أن تغير قواعدها طوعاً أو كرهاً، وهذا الصنف – إن لم يَـــعِ قـــواعد اللعـــبة ويشحن رصيده، أو يقرر تغيير القواعد باختراق نظام الاتصالات بشكل ما ليمنحه حق التواصل المفتوح – ســـيطول به الأمد، ويمر عليه الزمن، وإن التَقَطْتَ هاتفك، وحاولت الاتـــصال به، فلا تتعجب حين ترد عليك صاحبة الصوت الرقيق... تعلن لك الخبر التالي بكل أسف: "**هذا الرقم غير موجود بالخدمة**".

الخاتمة

الخاتمة

كانـــت هذه محاولة لتلسيط الضوء على بعض المعاني والأفكار المعنية بإحداث ثورة في العقول، وهي معان تحتاج إلى تذكير ثم انتباه ويقظـــة أثـــناء الممارســـة الحقيقـــية في ساحة الفعل من أجل تنمية المجتمعات، وهي جديرة بأن تصل إلى كل إنسان يسعى لتغذية عقله، وتطويـــر أســـلوب تفكـــيره، ولا نعرضـــها على اعتبارها حقائق ومـــسلمات، ولكنها في حدودها الدنيا تطرح تساؤلات على العقل، جديـــر به أن يسعى بجدية لإجابتها، ولا يضيرنا في شيء أن تختلف أجوبة القاريء عن ما طرح في هذا الكتاب.

إنها أفكار تنير ومضات في العقول، وهي موجهة لكل مهتم بأن يديـــر حياته بشكل أفضل على مستواه الشخصي في أعماله اليومية، ومـــوجهة كـــذلك إلى النشطين والقادة المعنيين بالفعل الاجتماعي والـــسياسي، حـــتى يتمكنوا من تأسيس مؤسسات قوية تقوم على قـــواعد متيـــنة، ويقوم بها مجتمع حر يحترم العقل، ويرعى قدسيته، ويستثمر في تنميته.

إن زلـــزلة العقـــول من أولى أولويات صناع التغيير، لأنها تردم الفجـــوة بـــين المـــستحيل والممكـــن العقلي، وهي زلزلة تناقش في المـــسلمات، وما يعتقد أنه من الأفكار الرواسي، وبهذه الزلزلة يعاد تشكيل العقول، ويكون من أهم توابعها إعادة تشكيل الفعل الميداني، لإحـــداث زلازل التحول على الأرض، وتقديم النقلات الكبرى في التجربة البشرية.

إصدارات أكاديمية التغيير

سلسلة ثورة العقول:

زلزال العقول (1)

زلزال العقول (2)

سلسلة حرب اللاعنف:

حرب اللاعنف... الخيار الثالث

حلقات العصيان المدني

الدروع الواقية من الخوف

أسلحة حرب اللاعنف